

سنة ١٢٩٧ هجرية

افتتحت سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية بيوم الاثنين [٤٠] الموافق سادس كيهك سنة ١٥٩٦ ست وتسعين / خمسمائة وألف قبطية، وخامس عشر ديسمبر سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية، والناس في شاغل عن مصالحهم المعاشية، عاكفون على شراء الفراش والطنافس وأصناف البسط والكراسى والخيام والسرادقات والنجف، وصنوف الفوانيس والشمع والزيت ومعدات الزينة، حيث أرسلت الرسائل من ديوان الخديو الخاص إلى كافة مديري ومحافظى الجهات، مؤذنة باستعداد أهالى المدن والبنادر للقاء الخديو، حيث عزم على زيارة جميع البلاد والتجول فى داخلية القطر، فكانوا يكثرون من شراء الأواني النفيسة، والكراسى المذهبة، وغير ذلك من وسائل السرف والتبذير على عسر منهم، وإفلاس كما سيأتى بيانه فى محله.

وفى غرة محرم الحرام، هرع الناس وموظفو الحكومة الملكية، وضباط الجند والعلماء والأعيان والوجهاء إلى مقر الخديو بالإسماعيلية لأداء مراسم التهانى، بدخول العام الجديد فأطلقت المدافع من قلعة الجبل كالعادة المألوفة فى مثل هذه الأعياد وعملت التشرىفات.

[٤١] / قيل وتكلم الخديو فى هذا اليوم مع الكثير ممن تقدموا لتهنئته وأظهر لهم علامات البشر والإيناس، وقال لبعضهم: إنه على أهبة التجول فى داخلية البلاد والنظر فى مصالح الخلق، ثم انصرفوا جميعاً، وفى العشرين منه

ركب الخديو قطاراً مخصوصاً من محطة بولاق الدكرور وسافر إلى مدينة الفيوم، ثم عاد منها إلى (الواسطة) وركب في باخرته المسماة فيروز قاصداً المدن والبنادر القبلية لغاية أصوان، قيل فكانت أهالى البلاد تقابله بالطبول والزور وتنحدر عند خروجه إلى المدن والبنادر عجلو البقر، وفحول الجموس، وتسير أمامه عند تجوله في شوارع المدن طوائف الهوارة^(١) وقرسانها وأرباب الأشاير وأصحاب الطرق^(٢) وكان الكثير من المدن الكائنة على ضفتي النيل مزينة بالأنوار وصنوف الزينة إجلالاً لقدمه، فكان يمر ببعضها مروراً وينزل ببعضها يوماً أو بعض يوم حتى انتهى به السفر إلى مدينة أصوان، فعاد إلى مصر المحروسة على ما / سياقى بيانه في [٤٢] محله.

وفي الرابع من صفر الخير رفع الرئيس مصطفى رياض باشا إلى الخديو عريضة، عدد فيها تلك الضرائب والمكوس القادحة^(٣) التي كان ضربها الخديو إسماعيل في أيامه على أهالى البلاد فأثقلتهم، وأذهبت بشروة الزراعة والتجارة، والتمس من الخديو التصديق على إلغائها وتخلص الناس منها، حيث كتب فيها يقول.. مولاي عندما شرعت حكومتكم في التحرى بغاية الدقة عن سائر موارد إيرادات الحكومة، قد رأيت الحكومة في مبدأ الأمر استبدال ضريبة الملح باستقلال الصنف المذكور وبيعه بطريق الاستحكار، وإنما جملة من العوائد الأخرى تستحق البحث فيها. فإن قاعدة ضرائب بعضها سيئة، وطريقة تحصيلها أسوأ، وكلاهما مخالف للمخالفة الكلية لشؤون العدالة والإنصاف التي هى من شيم حكومتكم

(١) قبائل الهوارة أهم قبائل الصعيد.

(٢) الطرق الصوفية، وكان لها أكبر الشأن في هذا العصر.

(٣) بمعنى القادحة.

السنية، والبعض الآخر من تلك العوائد مع كونه مضايقاً للممولين، ومعطلاً لتقدم التجارة والصناعة، فلا يتحصل منها لجهة الخزينة / إلا مبالغ واهية، لا تكفى في غالب الأحيان لمصاريف تحصيلها فالفوائد الشخصية المقررة بذكريتو أى أمر ١٩ ديسمبر سنة ١٨٧٥، هى من ضمن العوائد الأكثر غدراً برعايا سدتكم، وتعريفها على الأهالى بمعرفة مشايخ النواحي، حاصل منه مخالفات كلية، وضرر للأهالى لأن تحصيلها من المملول^(١) يترتب عليه في غالب الأحيان تكليفه بعوائد مضاعفة حيث إنه مكلف بعوائد الويركو، وبما أن العوائد الشخصية مقررة على الأغنياء والفقراء من الأهالى، فالضرر الأكثر عائد على فقرائهم، كما يحصل ذلك في جميع العوائد المقررة على الأشخاص من أغنياء وفقراء.. وأما الويركو^(٢) فإنه ليس مضروباً على الممولين فقط المتعاطين لحرفة بل عام على كل من يثبت أن له إيراداً من الأطيان أو بالحرى على كل من لم يبرز حجة تملك أطيان، ولما كان تحصيله صعباً جداً ترتب عليه تأخيرات جسيمة لا يمكن تحصيل أغلبها من معظم الأهالى..

وعوائد التمتع على المصنوعات البلدية الجارى تحصيلها بواقع خمسة في المائة على قيمة تلك المشغولات، / لما كانت مجعولة على الصنائع السابق ضرب الويركو عليها، منعت تقدم الصنائع الصغيرة التى ينبغى تشويق أربابها، وهذا من باب حسن السياسة، ومن كل الوجوه لأجل تقدمها في القطر.. وفضلاً عن ذلك أن الأجانب لا يدفعون شيئاً من هذه العوائد فلا يتيسر للصانع ابن الوطن أن يجارى، أو يبارى بصناعته الأورباويين في

(١) يقصد المول.

(٢) الويركو: الجزية السنوية التى كانت ترسلها مصر إلى استنبول والتي استدانها الحكومة العثمانية بضمانها، فأصبح هناك ما يسمى بدين الويركو الذى يتحدث عنه المؤلف.

اشتغالهم... وهذا الملحوظ نفسه، ينطبق على عوائد الدلالة، وعوائد الوزن وعوائد بيع المجوهرات، التي ليست مضروبة على أرباب التجارة الأجانب، التي تصير التجارة الوطنية في أحوال عدم مساواة، فيمتنع اتساع دائرتها في القطر: ومصاريف تحصيل عوائد الدخولية في النواحي هي في غالب الأحيان أكثر من محصول هذه العوائد ولما كان التحصيل أرياً بدون تفتيش عليه، حصلت منه مضايقات أوجبت المزارع أن يترك بيع محصول زراعته بالأسواق في أغلب الأوقات..

وعوائد معاصر الزيوت، أضرت بأرباب هذه الحرفة المن بضرر بليغ من ورود مقادير من زيت الغاز، يزداد وروده يوماً فيوماً ثم المساكن بالنواحي / التي لا تتجاوز قيمتها في أغلب الأحيان جنيهاً واحداً مصرياً [٤٥] مضروب عنه عوائد من غرش واحد إلى خمسة غروش وجار تحصيلها برسم عوائد تنظيم، مع أن المصاريف على التنظيم في تلك النواحي هي عديمة الوجود تقريباً ولذلك متأخر من العوائد المذكورة عوائد جسيمة، هذا في حالة ما لا تمتنع أهالي النواحي عن دفعها تمنعاً كلياً.. فبالغاء العوائد الشخصية وتجديد تحصيل الويركو من الممولين المتعاطين حقيقة كارا من الكارت^(١)، تخفف الحكومة الحمل الذي يثقل كاهل الزراعة التي عليها المدار الأعظم في إيرادها.. ويمكن الحكومة بفعل هذا العدل أن تتم ذلك بدون حصول نقصان محسوس في إيرادات الخزينة لأن محصول ضرائب الأطيان يزداد بداعي التخفيف المسموح للمزارع بإلغاء العوائد العديدة التي تضره الآن في إيراده..

وأما من خصوص باقي العوائد المنوه عنها في مشروع الديكريتو أى

(١) حرفة من الحرف.

الأمر الذى أتشرف بعرضه على أعتابكم الكريمة، التى سردناها هنا [٤٦] بالاختصار أن إيراداتها التى كانت مندرجة فى الميزانية بعد خصم مصاريف / تحصيلها هى جزئية جداً.. وفى تحصيل هذه العوائد لا يوجد فائدة تقابل المضايقات المترتبة عليها للمولين والموانع الناشئة عنها، لاتساع دائرة الصنائع وعدم تحسين الثروة العمومية. فبطلب إلغاء هذه العوائد التزمت بأن لا ألتفت لتحصيل متأخرات العوائد المذكورة..

أما المتأخرات لغاية سنة ١٨٧٥، التى ما أمكن البتة تحصيلها من ابتداء سنة ١٨٧٦ لحد الآن، فلا شك أنها مطلوبة من فقراء عاجزين عن أدائها فيصرف النظر عن تحصيلها منهم، ومع ذلك فإنه يوجد بعض متأخرات قبل سنة ١٨٧٦ مطلوبة من أشخاص لهم دين على الحكومة، فهذه يتيسر حصولها بطريقة المقاصة، ولم يكن يخطر ببالي أن أطلب يا ولى النعم من مراحكم الخديوية ومكارمكم الداورية إلغاء واحدة من هذه العوائد، مهما كانت مرغوبة بالنظر للعدالة لولا اعتقادى يامعافى النظر بالدقة بأن حسن التحصيل فى أموال الأتيطان يعوض النقص الظاهر فى الإيرادات، التى يجرى عليها الإلغاء البادى ذكره^(١) بل ربما يزيد عن التعويض.. فالتنتائج التى بذلت جهدى للاستحصال / عليها فى صورة الديكريتو المعروضة [٤٧] لسدتكم، هى اختصار مصاريف التحصيل وتنقيصها وتخفيف مضايقات المولين بدون حصول ضرر محسوس للخزينة.. فإن شأت^(٢) الحضرة الخديوية والسدة الداورية بذكائها الوافى وعدلها الشافى فتفضل بالتصديق عليها أ.هـ.

قلت فمن التأمل.. فيما حوته هذه العريضة يعلم كم كانت تقاسى

(١) السابق ذكره.

(٢) شأت.

البلاد وأهلها على عهد الخديو إسماعيل من المظالم والضرائب القادحة التي لم تدخل تحت حصر، أو حساب، وسيأتى ذكر من تسبب في زوالها رحمة بأرباب الحرف وأهل الصنائع، الذين أهلكهم العوز فتمزقوا كل ممزق.

وفي الخامس منه أى من صفر الخير أصدر الخديو أمراً بناء على ما رفعه إليه الرئيس مصطفى رياض باشا، مفاده أن يزداد ابتداء من سنة ١٨٨٠ ميلادية على أموال الأقطان العشورية مائة وخمسين ألف جنيه مصرى سنوياً. وعلى أن هذه العلاوة يصير توزيعها على جميع الأقطان العشورية بالنسبة للضرائب المربوطة عليها، فكان لصدور هذا الأمر أثراً ردياً^(١) [٤٨] جداً عند أصحاب تلك الأقطان دفعهم إلى التشاؤم والتطير من أعمال الرئيس ونتائج رئاسته.

وفي الثاني والعشرين منه أرسل المسيو دى كيرير^(٢) أحد مديري صندوق الدين العمومى خطاباً إلى الرئيس مصطفى رياض باشا، يقول.. إنه بتاريخ ثلاثة يناير الماضى أخبرتمونا بصدور أوامر عطوفتكم لجميع المصالح المخصص إيراداتها للدين العمومى بأن تبقى في خزائنها وديعة ما تحصله من النقود إلى أن يصدر لها أمر آخر، وذلك تسهياً لتنفيذ التسوية المالية الجارى تحضيرها، ومزمع تقديمها لنا قريباً ففى جوابنا الرقيم ثالث عشر من الشهر المذكور المرسل إلى عطوفتكم اكتفينا بالمحافظة على حقوقنا بشأن هذه المخالفة للأوامر المرعية لاعتقادنا إزالة تلك المخالفة، فى أقرب وقت.. ثم إن عطوفتكم أخبرتمونا بالإفادة الرقيمة، رابع عشر يناير المذكور بأن المديرية الأربعة^(٣) المخصصة لإيراداتها للدين، وسكك الحديد

(١) أثراً ردياً.

(٢) المسيو دى كيرير ممل النمسا فى صندوق الدين.

(٣) صحتها المديرية الأربع وهى البحيرة والمنوفية والغربية وأسيوط. وهى أغنى

المديرية المصرية وتذاك.

[٤٩] كما كانت وتفضلتم علينا / بإعادة التأكيد بحل المسئلة^(١) بوجه السرعة بخصوص إيرادات باقى المصالح المرهونة، ونحن فى انتظار ذلك لغاية الآن: وفى الحادى والثلاثين منه أرسلتم لنا كشفًا بإجمال النقود الموجودة طرف كل من مصلحة الكمارك، والدخولية، والدخان، والمطرية، والهويسات، وكوبرى قصر النيل البالغ مجموعها ٩٤ قرش^(٢) ٧٥٢١ جنيتها مصرىا فنلتمس من عطوفتكم مزيد دقة الالتفات لما يترتب على امتداد حالة مغايرة، مثل هذه من الارتباك.. هذا ولاعتقادنا قصر مدة ذلك الأمر الذى أوقف الآن تنفيذ نصوص الأوامر الصادرة فى سنة ١٨٧٦، التى عليها مدار التأمين على الدين عدلنا عن المعارضة فى الأمر المذكور كى لا يحصل مانع فى التصفية المالية، العائدة بالفائدة على نفس أرباب الديون، غير أنه لا يمكننا مطلقًا البقاء على هذه الحالة مدة مديدة من الزمن، فنرجو عطوفتكم إخبارنا بأسباب التأخير الحاصل فى نشر صورة التسوية، ربما إذا كان تيسر لعطوفتكم تحديد ميعاد لذلك، لأن ما يلزمنا فعله متوقف على ما يرد لنا من الإيضاحات.. هذا / والذى نأمله فى عطوفتكم أنه عندما يتراءى لنا لزوم طلب إعادة توريد الإيرادات المذكورة لصندوق الدين، تحصل إجابة طلبنا نظرًا لمقتضيات وظيفتنا حتى لا نلتزم بإجراء الطرق القانونية للحصول على هذا الغرض ا.هـ.

ففى الخامس والعشرين منه أرسل إليه الرئيس يقول أيها السادة: طلبتم منا فى جوابكم الرقم أربعة فبراير، إعادة توريد إيرادات الكمارك، والدخولية، والدخان، والمطرية، والهويسات، وكوبرى قصر النيل بصندوق الدين، فأما السبب لحفظ إيرادات الكمارك بخزيتها فناشئ من احتمال

[٥٠]

(٢) صحتها قرشا.

(١) صحتها المسألة.

تنفيذ ما طلبت لجنة التفتيش من تخصيص هذه الإيرادات لسداد مطلوب السنديكاتو، وبما أن هذه المطلوبات قد تسدّت بطريقة أخرى. فقد أمرنا مصلحة الكمارك بتوريد الإيرادات المحفوظة بخزنتها بصندوق الدين، غير أنه لا يمكن الآن أن أصرح بتسليم باقى إيرادات الجهات الأخرى، التى هى قليلة الجدوى إلى الصندوق، إذ أن المسائل المتعلقة بسن اللائحة المالية لم تنته بعد، والمنظور أن هذه اللائحة تستلزم/ تغيير تخصيص [٥١] إيرادات هذه الجهات حسب طلب لجنة التفتيش، أما استفهامكم عن أسباب تأخير ظهور اللائحة المالية، وطلبكم بتحديد وقت لذلك إن أمكن فجوابه أنى لم أرى^(١) أحدًا متأسفًا مثل على تأخير ظهورها إذ أنه قد أصر أيضًا بمصالح أغلب الديوان، ومع ذلك فإنى لست بمسؤول عن هذا التأخير، خصوصًا وقد أجرت الحكومة المصرية ما يختص بها فى تنفيذ الإصلاحات. التى رؤى لزوم إدخالها عملاً بما رأته لجنة التفتيش التى قد كنتم من أعضائها. ولم تنكص عن إلغاء المقابلة معاً^(٢) فى إلغائها من الصعوبات. وقد طلبت لجنة التفتيش أيضًا ضم مائة وخمسين ألف جنيه مصرى على الأطنان العشورية^(٣) وبناء على طلبها قد صدر أمر فى الثامن عشر من شهر يناير سنة ١٨٨٠ بضمه، وطلبت كذلك إلغاء العوائد الشخصية وإعفاء الفلاحين من ويركو أرباب الكارات، والصنائع، وإلغاء جملة عوائد دنيئة وعلى ذلك صدر أمر سابع عشر يناير أيضًا.

وطلبت كذلك تعديل طريقة تحصيل عوائد الملح، فصدر/ أمر الحادى [٥٢]

(١) صحتها «أر».

(٢) صحتها مع ما.

(٣) الأطنان العشورية هى أطنان الأبعاد والجفالك والأوسى عرفت بهذا الاسم عام

١٨٥٤ حين أصدر محمد سعيد قرارًا بفرض ضريبة العشر على تلك الأطنان.

والثلاثين من ديسمبر يجعلها بحسب الاستهلاك بدلاً عن كونها مضروبة على الرؤوس، وتعداد النفوس، وكذلك طلبت استبدال طريقة السخرة الاستبدادية بطريقة عادلة، مقتضاها توزيع الأشغال العمومية على عموم المولدين غير أن هذه المسئلة^(١) المعضلة لم تحل حلاً نهائياً، ومع ذلك فالحكومة أجرت على سبيل التجربة استعمال الطرق التي استوعبها مجلس النظار في التاسع والعشرون^(٢) من ديسمبر سنة ١٨٧٩.

وطلبت أيضاً أن يصير تنظيم ميزانية من عموم المحاسبات، فصدرت ميزانية منتظمة، ونشرت بأمر في عاشر يناير سنة ١٨٨٠، وكانت هي أول ميزانية منتظمة، صدرت من حسابات الحكومة المصرية، وسيجرى من الآن العمل بمقتضاها في الحسابات.

وطلبت أيضاً تنظيم وترتيب طرق تحصيل الإيرادات بالجزينة المدونة في بند عشرة من الأمر الصادر في ثاني يناير سنة ١٨٧٩، وبناء عليه تحررت شروط في ثامن شهر فبراير سنة ١٨٨٠، مقتضاها أن البنك العثماني افتتح حساباً جارياً للحكومة مؤذوناً بعدم طلب الأموال من / المولدين إلا في الأوقات التي تسهل لهم فيها دفعها، حسب طلب لجنة التفتيش، وطلبت أيضاً ترتيب وتشكيل قلم قضايا قائماً بنفسه للحكم في التškiيات^(٣) المتعلقة بالضرائب، فترتب بأمر في الحادي والثلاثين في ديسمبر لجنة للنظر في ذلك لحين ترتيبه بطريقة قطعية.

وطلبت أيضاً أنه لا يتحصل شيء من الأموال إلا بموجب قانون يصير نشره في جريدة رسمية، وتعديل الضرائب وأن دفاتر المكلفات السنوية تحرر بموجب المساحة، فبناء عليه شكلت لجنة بأمر في السابع والعشرون^(٤)

(١) صحتها المسألة.

(٢) الشكاوى.

(٣) صحتها والعشرين.

(٤) صحتها والعشرين.

من ديسمبر سنة ١٨٧٩، وبأشرت العمل في أشغالها، واشتغلت بسن قوانين متعلقة بالضرائب، وبالنظر أيضاً في نتيجة أشغال مصلحة المساحة وإصلاح أجزائها، وقد عرضت هذه اللجنة لائحة مختصة بتحديد مواعيد دفع الضرائب، وسيجرى العمل بموجبها من أول هذه السنة، وقد بدئ بإنشاء المكلفات على سبيل التجربة في مديرية الجيزة، وأخيراً صار طبع مجموع القوانين واللوائح / الرسمية، التي ظهرت من سنة ١٨٧٦، وستظهر في كل [٥٤] شهر، وطلبت كذلك تعديل طريقة تحصيل ضريبة الدخان البلدي، فبناء عليه صار قانون في تسع وعشرين مارس سنة ١٨٧٩ ولم ينفذ، إلا بعد أن عدل بأمر في تاسع عشر يناير سنة ١٨٨٠، ومع هذا كله لم تقتصر الحكومة على تنفيذ هذه الإصلاحات الإدارية والمالية فقط، بل بذلت ما في وسعها لتنظيم ماليها، فدفعت في شهور ديسمبر سنة ١٨٧٩، ويناير سنة ١٨٨٠ لأرباب الدين الغير موحد نحو مليون ومائة ألف جنيه، وأزالت الرهنيات التي منعت دفع باقى سلفة روتشيلد^(١) ولم تزل تخاير دول أوروبا لاستجلاب رضاها، بدفع متأخر ويركو الباب العالى ومتأخر المرتبات والمعاشات من هذه السلفة، حسب طلب لجنة التفتيش فضلاً عن كونها قد سوت دين السنديكاتو، وقد قبل ما عنده من البيونات في مقابلة دينه، ولأجل سهولة تخلص إيرادات مينا إسكندرية ودفعها لصندوق الدين، قد عقدت الحكومة شروطاً مع الخواجة جرينفلد ترتب / على عقدها نقص مطلوبه حتى صار [٥٥] خمسمائة وثلاثين ألف جنيه ليس إلا.

وكذلك فوضت الحكومة لبعض لجان^(٢) النظر في سائر أملاكها، وتقدير قيمتها، لبيعها، وقد تم والله الحمد أعمال بعض هذه اللجان، وأما ما يتعلق بالدين الموحد: القنصلية: فقد صار عنه خطاب من الجناب

(١) يقصد روتشيلد.

(٢) يقصد لجان.

الخدوي في سادس يناير سنة ١٨٨٠، يتضح منه لجنابكم كيفية تعهدات الحكومة مع باقى حاملى البونات.

وقد كان بود الحكومة تسوية أعمال التصفية، غير أنه عاقتها في ذلك الوقت أسباب وموانع، منها: أن معارضة روشيلد لدفع الأموال على الأملاك المرهونة على سلفة سنة ١٨٧٨، وشططه في المعارضة حتى زعم عدم وجوب دفعها، وذهب إلى أنه إذا لم تحصل تلبية طلبه، لا بد وأنه يتوقف عن دفع باقى السلفة، وأظنكم لا تنكرون ما حررته في هذا الشأن إلى وكيل روشيلد المذكور، والظاهر لنا أن الحق الذى للحكومة ليس محلاً للاعتراض / والمنازعة، وذلك مما يوجب حصول الأمل في الوصول لحل [٥٦] المسئلة^(١) من غير لزوم، لتوسط المحاكم، ولا شك عندنا في أنكم ترون ذلك كما هو ترائى لنا، على أن دفع الباقي من السلفة لا يمنع من حدوث مشكلات أخرى لا يتأتى للحكومة حلها بمفردها.

هذا وعلى فرض توريد باقى السلفة لصندوق الدين، فلا يتأتى للحكومة تأديته إلى أرباب الدين السائر^(٢) الذين عقدت هذه السلفة، لأجل تسديد ديونهم فإنه سبق تنازل الحضرة الخديوية وأعضاء عائلتها عن أملاكهم للحكومة، لتتمكن بذلك من عقد سلفة، وقد تم عقدها فمع ذلك ما زالت الحكومة مضطرة إلى الحصول على توافق^(٣) أربعة عشر^(٤)

(١) صحتها المسألة.

(٢) الدين الموحد: في ٧ مايو ١٨٧٦ أصدر الخديو إسماعيل مرسوماً بتحويل ديون الحكومة ودين الدائرة السنية، والديون السائرة إلى دين واحد سمي بالدين الموحد قدره ٩١ مليون جنيه إنجليزي.

(٣) بمعنى موافقة.

(٤) وصحتها أربع عشرة.

دولة لسداد المطلوب لدين واحد، فإن لم ترض إحداهن بذلك كما وقع من عهد قريب تلتزم الحكومة بأن تؤخر، إما سداد الديون التي تستمر فائدتها محسوبة باعتبار اثني عشر في المائة، وإما دفع ويركو الاستانة الذي هو أول واجب على الحكومة المصرية، وإما دفع الماهيات والمعاشات، والباقي منها متأخرات / من عدة سنين، وعلى فرض الحصول على إرضاء الأربعة عشرة [٥٧] دولة المذكورة، والاستولاء^(١) على الباقي من سلفة الأملاك الأميرية، فهذا لا يمنع من حدوث مشكلات مماثلة للمتقدمة، فإنه قد أعرف قومسيون التحقيق بأن إيرادات الحكومة، لا تمكنها من الاستمرار على دفع الدين الموحد باعتبار سبعة في المائة، ورأى من الضروري أن يطلب من أرباب الدين السائر^(٢) تجاوزهم عن مبالغ، صار الاجتهاد في جعلها قليلة بحسب الإمكان بحيث لا يحمل المستقبل، بما لا يمكنه القيام به من التكاليف إلا أنه من المستحيل فعلاً الاستحصال على رضاء جميع الديانة^(٣) بتسوية تجعل حقوقهم محصورة في أي قدر كان، أو توخى المطالبة بها، ومن المعلوم أن حاملي يونات الدائرة على المالية، وأرباب الدين الحائزين لرهونات عقارية قد فازوا بحصولهم على ديونهم بالكامل، بسبب امتناعهم من قبول كل تجاوز على إجراء أي وسيلة جائزة قانوناً، ولو كانت مضرة بباقي الديانة وبالحكومة، كما أشار إلى ذلك / قومسيون التحقيق، فاقتداء بهؤلاء [٥٨] يؤمل بعض مداينين آخر وصولهم إلى مثل هذه النتيجة، وبتخاذهم تلك التشبثات غير مفكرين في أن ما سبق تسديده من الديون يكون سبباً آخر لمنع قبول طلباتهم.

(١) الاستيلاء.

(٢) الدين السائر: هو الذي نشأ عن المعاملات المدنية والمشتريات وليس عن قرض

حكومي.

(٣) الدائنين.

هذا وليست الحكومة المصرية بأول من اضطر لتنزل فائدة دينها، بل إنما^(١) هو حاصل لها الآن من الاضطرار الكلي لذلك التنزيل حصل بغيرها في مثل هذه الأحوال، من نفس الحكومات الأوروبية إلا أن ما أصدرته الحكومات المذكورة من القرارات في هذا الشأن، لم يقدم لأى محكمة كانت، وذلك بخلاف الجارى في القطر المصرى فإن حاملى /سندات الدين الموحد : ٥٩١ يعتقدون بأن لهم الحق في طلب الحكم على الحكومة بإلزامها بتكملة فوائد دينها، مع أنه لا يمكنهم فعل شىء مثل هذا في أى حكومة أخرى، فإن حصل ذلك ترتب عليه تكليف الحكومة بأن تدفع مبلغاً يقرب من مليون وسبعمائة ألف جنيه إنكليزى لتكملة الكوبونات الثلاثة الأخيرة، فإذا حصل التأمل بقطع النظر عن غير ما ذكر من الأسباب في حقيقة صالح حاملى السندات، ينبغى الاعتراف بأن هذه الطلبات مضرّة بهم، إذ أن الصعود التدريجى لأسعار الدين الموحد دليلاً على أن معظم أرباب الدين الذين اعتبروا طلب الحكومة تنقيض الفائدة أمراً لازماً لضمانة نفس قيمة المرهون لهم.. ومن المحقق أنه لا يتأتى القول مقدماً بقبول هذه الطلبات، إذ لو قبلت لتعذر على الحكومة تعذراً كلياً دفع ما يحكم به عليها، وحينئذ يكون عدم تنفيذ ما يصدر فى ذلك من الأحكام أمراً وخيباً جداً فتعترف به علانية.

وأهم الأمور المشتغلة بها الحكومة الآن، هو اجتنابها حصول تناقض فى المستقبل بين الممكن لها، والواجب عليها قانوناً فعله.

والحاصل نخبركم أيها السادة بأنه متوفر فى القطر المصرى جميع المواد، التى يمكن بها الحصول على الثروة والرفاهية العمومية، وأن الحكومة مالكة

(١) ان ما.

بعزم وهمة طريق الإصلاحات الموصلة لاتساع دائرة هذه الرفاهية، وأن المفتشين العموميين وحضرات النظار التي سلمت لهم الحضرة الفخيمة الخديوية زمام إدارة المصالح والأشغال على أتم وفاق في / المقاصد [٦٠] والأفكار، إلا أن جميع تلك المواد الموجبة لوجود هذه الرفاهية متعطله، بسبب ما هو حاصل من تقييد الحكومة في وضع القوانين الناشئ ذلك من مداخلة^(١) الدول في هذا الخصوص، وإطلاق هذا التداخل، يمنع من الاستفادة من الأحوال الحسنة التي عليها القطر المصري الآن، هذا ولا يتأتى لأى حكومة البقاء إذا لم يمكنها وضع القوانين اللازمة لإدارتها، وبناء على ذلك يلزم أحد أمرين: إما أن يكون للحكومة المصرية ما لها من الحرية الكافية لوضع القوانين اللازمة لها، أو أن تتحد الدول في إجراء ذلك بالاتفاق معها، فإنها مستعدة لقبول كلا هذين الأمرين الموصلين لحل مسألتها، وإذا أرادت الدول تشكيل قومسيون، رخص له الترخيص اللازم لوضع قانون التصفية، فهي مستعدة لتشكيله بالشروط المبينة في تقرير المفتشين العموميين الرقيم ثلاثين شهر نوفمبر سنة ١٨٧٩، الذى قبله مجلس النظار # وإما إذا لزم للتوافق المقتضى الحصول عليه في هذا الشأن الدخول أيضاً في مذكرات مديدة، فيكون في معلومية الدول أنه لا يمكن الاستمرار على الحالة الراهنة، من غير وقوع ضرر لصالح القطر، / بل [٦١] ولصالح مداينيه من كل ملة، وإنه لا يتأتى تأخير إجراء الطرق اللازمة للمحافظة على الصوالح المذكورة إلى زمن غير محدود، ولولا معلومية مجلس النظار باستمرار المذكرات، بخصوص تشكيل قومسيون التصفية، كان قدم قبل الآن صورة تسوية للتصديق عليها، من الحضرة الخديوية، وكان صار عرضها بعد ذلك على الدول، والإجراء مؤقتاً بمقتضى نصوصها في حق

(١) تدخل.

من يقبلها من أولى الشأن فيها # فهاكم أيها السادة: الأسباب التي أوجبت تأخير التسوية المالية، ولم تكن المسئولية الناشئة من هذا التأخير عائدة على الحكومة التي ما زالت تنجز ما هو متعلق بها لسرعة حل مسائلها وهي أول من يعترف بضرورة سرعة حلها- انتهى بنصه.

وفي هذا الأثناء عاد الخديو إلى مصر المحروسة بعد تغييره في الصعيد أياماً، فهرع رجال الحكومة، والجند، وضباطها، وموظفو الدواوين الملكية، والعلماء، والرؤساء الروحيون، إلى مقره بالإسماعيلية يهنئونه وازدحمت على أبوابه الشعراء المطرون يمدحونه بالقصائد، والخطب فقدم له أحد الأدباء الشيخ على الليثي قصيدته هذه:

[٦٢] / لك الله يا قلبي فكم تتحمل
تحاول وصلًا والشباب شفيعه
زاع لمنائها وإن هي قد دنت
لك الله كم داريت فيها عوادلاً
تراعى الوفا في الحب والحب غادر
أمالك يا قلب سلو وتتقى
على م أبحت الحب نفساً عزيزة
ينام خلى القلب ملء جفونه
مقيم الوجد والسهد والأسى
سواك طليق مثل دمك في النوى
إذا صدحت ورقا في ظل دوحة
فهلاربحت العمر واعتضت عننا
ترغم حساداً أو تعمى عوازلا
وتلحظ في النادى بعين مهابة

أمالك عن داعى الغرام تحول
وتصبو إلى ليلي وليلك تظل
تدين لمرآها ولا تتمهل
عليك بماينى سواك تقولوا
وعند التجنى مغضبا تذلل
سهام المنايا حيث كان التذلل
فهامت وصارت بالضنا تتجمل
وأنت على جمر الغضا تتلمل
ووصل الذى تهواه ليس يحصل
وأنت أسير فى هواك مكبل
تسير جوى بين الضلوع وتشعل
غرامك فى ليلي الذى هو أكمل
وتختال فى بر النعيم وترفل
وتحفظ فى الدانى وفى البعد توصل

وهذا مرام لا ينال لذي علا
وما هو إلا أن يقلد عصره
فيسمو على الإعصارينها ويرتقى
/إلى سدة من أمها أم منيلا
بها نورت الحمد والمجد والعلا
إذا قال قولاً كان شفيحاً بفعله
له الله من مولى يدار بذكره
عو الفرض الأقصى لألسنة التنا
إذا اللسن المنطبق أهدى ثناءه
إذا عد أفراد العصور أخو حجي
همام إذا ما الدهر لاذ يركنه
فتى العزم لكن راية الشيب دونه
وقور إذا ما الأمر طاشت به النهى
أما وأيام العصر عند سياحته
نشرت به المأمول منك لدى الورى
علا بشرك السامى البسيطة واجتلت
أعدت إلى جسم الصعيد حياته
سررت قلوبا من بنية امضها
وقربت أهل الدين والعلم والحجا
فهذا هو العدل الذى يحرز التنا
ومتلك من يسمو لأكمل غاية
هنيئاً أبا العباس ما شئت من علا
رقت عن الأهلين ما ضاق زرعمهم
نظرت إليهم نظرة الأب لابنه

إذا لم يقم فيه مقام يبجل
عقود نظام بالدرارى تفصل
إلى سدة فيها له ما يؤمل
[٦٣] هنيئاً بعلى الواردين وينهل
ملك الورى توفيقاً يتهلل
وهل غيره أن يقال من مثلى يفعل
على مسمع الدنيا رحيق وسلسل
لذلك إليه المدح يهدى ويحصل
إليه فمعناه به يتكمل
تقول المعالى إن توفيق أول
تهنئة الدنيا بأن لست تخذل
وغصن الصبا غص فلا يتكهل
وخف يثير عند ذاك ويذيل
ركاب كفيه البدر والملك منزل
من العدل والإحسان والحر يعدل
عيون الرعايا منك ما ليس يبجل
فاخصب بالنعمة وقد كاد يبجل
[٦٤] زمان مضى والأمر فى الناس مفصل
وراعية حق الله وهو المفضل
وغرباً وشرقاً بالمدائح ينقل
سواك مجد دونها يتجدد
تخب به الركبان وترفل
بحملانه خفقت ما كان يثقل
كذلك من ساس المعالك يعمل

الحزم طرف بالعفاة موكل
 ومجمل ما أسديت ليس يفصل
 وجودوا إلى مجد سنى يؤثل
 أفادكم ما كان يرجى ويؤمل
 رجال عليهم فى النظام المعول
 يصدق لحل الصعب والأمر مشكل
 يمدهم توفيق بمن ويشمل
 كبار النفوس للمعالى تأهلوا
 وطاب برباها جنوب وشمال
 لها من ندى توفيق عين وجدول
 يصن ملكه عن عسف من يتحيل
 لتوفيقنا إذ ليس للجور مدخل
 بدرتها فيها الرعايا تجمل
 يقصر عنها فى السلسيل جدول
 إلى مثلها تطوى الفيافى ويرحل
 ولم يرم بالأسقام منى مفصل
 إذا رحت أقضيه فللعذر منزل
 أيلغ نظمى قدره وهو أمثل
 وسؤدد عباس لأوفى وأعدل
 فإنك للدينيا والدين مؤيد
 تضمن للتذكار معناه جمل
 سرور وقالوا أما به النظم يكمل
 وان صعيدا أمه منه يأهل
 سياحة توفيق بمصر تجمل

سلكت بهم نهج الترى وأحاطتهم من
 فكل لما أوليت مولاي شاكر
 فسودوا بنى مصر وعودا إلى الهنا
 فعصر الخديو الشهم بالأمن والمن
 أجل أيديه علينا انتقاؤه
 تساموا بما يرضى المليك وأقدموا
 وساسوا بحسن الرأى سير الحكومة
 رجال لهم صدق العزيمة ميسم
 رياض علامه اينعت بمحامد
 وهل كرياض غرسها أثمر العلا
 / ومن يجعل الأخيار للملك ساسة [٦٥]
 وقد جمع الله المحاسن كلها
 وليك عام عم بالبشر والوصفا
 وللأذكىء اللسن فيها مدائح
 تضمنت الذكر الجميل للمكهم
 يؤدى لو بالسبق أحرزت فضلهم
 ولكن فرضاً أوجب الله حقه
 وهينى نظمت الدهر والدر سابقاً
 وإن دعائى كالأنام لمجده
 فلا زال هذا الملك منك ممتعاً
 وحيا الصفا عاما سررت به الورى
 أعدوه عدا وحيث كان مبدية
 ركاب الخديوى ساحب اليمن بدره
 ومد زينت ارجاه قلت أرخوا

وفي الرابع عشر من ربيع الأول دفع الرئيس مصطفى رياض / باشا [٦٦] إلى الخديو عريضة يقول فيها: «يا ولى النعم لما كان من مقاصدكم العلية وقاية الممولين من التحصيلات الغير قانونية مع تأكيد استقامة تحصيل ضرائب الأموال، عينتم بتاريخ السابع والعشرين من ديسمبر قومسيوناً مخصوصاً* للبحث في جميع المسائل المتعلقة بضرائب الأموال، ولما أمضيتم ذاتكم الفخيمة هذا الأمر الكريم، قد أعلنتم في آن وآخر إعادة النظر بوجه عمومي إلى تأسيس ضرائب الأموال، وأمرتم بتنظيم كيفية تحصيلها فلأجل الوصول لهذه الغاية، لزم ابتداءً أن التحصيل يصير إجراؤه بقدر ما يسمح به احتياج الخزينة في مواعيد محددة في أوقات السنة، بها يمكن للممولين جنى ثمرة أتعابهم، لسير الأموال المضروبة عليهم بغاية السهولة، وعلى هذه الكيفية يمكن يتأكد للحكومة أن بتحصيل الأموال لا يجبر الفلاح على استقراض نقود بالرباء الفاحش، تأتي نتيجتها غالباً باضمحلال حاله، وزيادة على ذلك أيضاً من الضروري أن الممولين يعرفون حقيقة مقدار الأموال السنوية المضروبة عليهم، والمواعيد التي تطلب منهم فيها، وانقيادا لهذه المقاصد الجليلة، قد بادرت بوقتها حالا بإعطاء التعليمات اللازمة، لمديري المديرية حتى إن كل ممول يجرى إخباره بالدقة / عن قيمة الأموال المطلوبة منه سنوياً، قال: ولم يبق على إلا طلب [٦٧] التفات قومسيون ضرائب الأموال على ضرورة اقتراح لائحة تبين مواعيد دفع الأموال قبل كل شيء، وطبقاً لطلبى أجرى القومسيون على هذه المسألة تحرياته الابتدائية، ومن بعد أن سأل، وتخابر مع المديرين، والعمد، ومأموري التحصيل في المديرية المختلفة يتم له اقتراح لائحة، توضح فيها شهريا مقادير الأموال المقتضى تحصيلها في كل مديرية، ومجلس النظار

* لجنة خاصة.

بعد أن أمعن نظره بغاية الدقة أقر على نتائج هذه اللائحة إنما تراهي^(١) له مع ذلك لزوم إجراء بعض تغيير خفيف فيها عن هذه السنة فقط، بوجه استثنائي في المديرية المختصة لخدمة الدين العمومي، وفي الواقع أن الكيفيات الخصوصية التي جرى التحصيل بها في سنة ١٨٧٩، عطلت التحصيلات في الأشهر الأخيرة من السنة الماضية، فنتج عن ذلك أنه إن لم يحصل هذا التغيير الخفيف المؤقت عن هذه السنة فقط فيما تضمنته هذه اللائحة، لترتب من ذلك أن قيمة الأموال المقتضى تحصيلها لحد شهر أبريل تكون غير كافية، لتسديد قسط الدين الموحد المستحق دفعه في أول شهر مايو القابل # فهذه هي حالة استثنائية توجب تحصيل قيراطين زيادة عن ما هو/ ورااد بالجدول المقدم من القومسيون، في الأشهر الأوائل من هذه السنة فقط في المديرية الأربع وهي: البحيرة، والمنوفية، والغربية، وأسيوط التي إيراداتها مخصصة لخدمة الدين العمومي، ويجب تنزيل هذين القيراطين^(٢) من قسطي شهري نوفمبر وديسمبر القابلين^(٣) وإن البند الثاني من الذكرينو^(٤) الذي أتشرف بعرضه على أعتابكم الفخيمة القصد منه طريقة وقتية عن هذه السنة فقط على وجه استثنائي اهـ.

فصادق الخديو على هذا المشروع، وأصدر أمره بتنفيذ ما تضمنه من الأحكام، فكان له وقعا حسنا^(٥) جدًّا عند أهالي اليد وأصحاب المزارع والاقطاعات.

وفي السابع عشر منه نقلت الجرائد المحلية خيرًا عن بعض الجرائد

(٤) المرسوم.
(٥) صحتها وقع حسن.

(١) صحتها تراهي.
(٢) أي نسبة ١ إلى ١٢.
(٣) المقبلين.

الأجنبية، وهو أنه لما سافر مكاتب جريدة باريس تام^(١): الإفرنسية من مدينة مارسيلية إلى مدينة سيرا توجه إلى نابولي قصد مقابلة الخديو إسماعيل، والمحادثة معه للوقوف على خفايا أفكاره بعد إبعاده عن بلاد مصر، فلما أن وصل إلى مقره المعروف بقصر الفافوريتا من ضواحي مدينة نابولي، استأذنه في الدخول فأذن له.. قال المكاتب المذكور فلم أر عليه شيئاً من علامات / الحزن والأسف، ولم يعتر شخصه أدنى تغيير.. فقلت: إن [٦٩] سمح مولاي، وحسن لديه أن يتحدثني بما يخفف عنه وحشة الغربة فيكون له الفضل الجزيل، قال فتبسم وقال: أى نعم إن أحسن الطرق التي اقترحت علىّ للحكم بموجبها في الديار المصرية، هي طريقة المسيو جوبير^(٢) ولعمري إنها كانت الطريقة الجديرة بالاتباع، لكن لسوء الحظ قد كنت محفوفاً ببعض حاشية السوء، فنكصوا عن مساعدتي، ولم يخلصوا إلى النصح، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، ومع كون المسيو جوبير كان مشهوراً بحسن الطوية وسلامة النية، إلا أنه قد تشيع أخيراً لأرباب الديون تشيعاً زمياً^(٣) جداً، ولم يراع احتياجات البلاد وأهلها، التي كان يتعذر علىّ غض الطرف عنها.. قال المكاتب فسألته عن رأيه في مسح أطيان القطر المصري فقال: نعم إن مسح أراضي الديار المصرية هو من الأمور قريية النوال غير أنه يتيسر تحقيقها في زمن قريب، بل يقتضى بها سنين عديدة ومعما^(٤) تحتاجه من الزمن الطويل فلا يختلج بفكرى قط

(١) Temps .

(٢) جوبير Joubert - العضو الفرنسي في لجنة التحقيق الإنجليزية - الفرنسية التي جاءت إلى مصر في أكتوبر عام ١٨٧٦ تحت اسم لجنة جوشن - جوبير للتحقيق في شئون مصر المالية.

(٣) يقصد ذمياً.

(٤) ومع ما.

[٧٠] أن يترتب عليها إظهار الأبطال الحقيقية الغير مربوط عليها ضرائب خصوصاً وأن تلك الأبطال ليست مقيدة في دفاتر ديوان الأراضي قال /: وليس من ينكر أن المرحوم سعيد باشا كان سن قانوناً، أباح فيه لكل من يخبر الحكومة عن أى أراض لم تكن مضروبة عليها الضرائب المالية، مها بلغ مقدارها، أن يستولى عليها بلا معارض ولا منازع في مقابلة^(١) إخباره الحكومة عنها، وربط الضريبة اللازمة عليها فتتج من ذلك أن أصحاب الأراضي أخذ بعضهم يشكو بعضاً، ويظهرون عوراتهم وكان هذا القانون سبباً باعثاً لتكثير إيرادات الحكومة، وظهرت مقادير عظيمة من الأبطال التي كانت في حوزة المزارعين، ما كان في وسع الحكومة في ذلك الحين الوقوف على حصرها ومعرفتها، أى نعم. ولو قام في ذلك الوقت أمهر المساحين وبحث ودقق ومسح ولفق، لما أمكنه أن يزيد إيرادات الخزينة قيراطاً علاوة على ما نتج من قانون المرحوم سعيد باشا السابق الذكر هذا فضلاً عن وفرة مصاريف المساحة، وقلة جدواها، ولست أنكر أن الأبطال هي أصل غناء وثروة الدار المصرية، ولكنى أقول يتعذر وفور محصولاتها وإيراداتها أوفر مما هي عليه الآن.. قال المكاتب ثم انتقل من هذا الكلام وهو يتنفس الصعداء إلى الثناء على المسيو فرسينيه رئيس جمهورية الفرنسيين، حالة كونه كما قال لا يعرفه إلا بالشهرة، ثم اثني أيضاً على الأمة الإفريقية نظراً لخلوص طويتها، واستقامة أحوالها ثم انتقل إلى الكلام عن سياسة الإنكليز فقال: إن سياسة الإنكليز ليست كسياسة الفرنسيين في شىء ما، وبينها كما يتخيل لى فرق عظيم جداً على أن الإنكليز تراهم أيدياً لا يعرفون إلا ما يرغبون فيه، ولكنهم لا يعرفون ما هم فاعلوه: أى ويعلم الله: وأنى غير واثق بنجاح تكفل هذه الأمة

(١) في مقابل

بوقاية آسيا الصغرى، نعم، إنهم وإن كانوا قد أنشبوا أظفار أمانيتهم فيها ونالوها، غير أنهم بعيدين^(١) عن معرفة النتائج، التي لا بد وأن تنتج من ذلك # قال: وقد زارنى فى مقرى هذا من عهد قريب أحد نبلاء الإنكليز فحدثته أيضاً بهذا الكلام وأعلمته أنه إن لم يكن معهم فى هذه الخطة العظيمة رجال مدربون من العثمانيين، فلا يأمنون مقت الأهالى وكراحتهم والنفرة منهم، وإن كان معهم رجال يقدرون الأمور قدرها الحقيقى فلا يؤمنون بغض الإنكليز لهم ومعاداتهم بل مناوأتهم # قال المكاتب: ثم تنهد وسكت، فعلمت أن لم يبق للحديث مجالاً فودعته وانصرفت عنه.

وفى التاسع من ربيع الثانى أصدر الخديو أمراً بتحديد / أعمال لجنة [٧٢]
التصفية بعد إقرار الدول الكبرى على تأسيسها، وبعد استغراق الطويل من الزمن فى المخابرات والمناقشات بينها، وبين الحكومة المصرية فصار لهاته اللجنة الحق بمقتضى هذا الأمر، أن تنظر فى تحقيق الأحوال المالية بأسرها، وفى ترتيب ديون الحكومة بحسب ما يتحسن لديها، وفى ملاحظة تنقية الأحكام التى تصدر منها، وفى سن القانون الذى يصير تحضيره بمعرفة أعضاؤها^(٢) تنفيذه، بحيث لا يكون قابلاً أبداً للنقض ولو فيه ما يغير قوانين المحاكم المختلطة وأصولها المرعية، فكان صدور هذا الأمر سبباً فى كساد التجارة الداخلية إذ خاف أصحاب الأخذ والعطاء وجمعوا أموالهم من المدن والبنادر والأرياف، فلم يجد أصحاب المزارع من يشتري غلة مزارعهم، حتى ضاق بهم الحال واشتد الكرب أياماً وكانت بئس الأيام. وفيه أيضاً صدر أمر آخر بتعيين هاته اللجنة، فكانوا المستر ريفرس ويلسون.. رئيس اللجنة... والمسيو برافيلى، والمسيو بلج ده بوغاز.. والمسيو

(١) الصحيح بعيدون.

(٢) الصحيح أعضائها.

كلفن...، والمسيو دومريكر، والمسيو ليرون، والمسيو دوتريسكو أعضاء، وقد [٧٣] عينت الحكومة بطرس باشا غالى لينوب عنها في هذه اللجنة وكانت / مداولاتها جارية بأغلبية الآراء، وبناء على هذا التعيين أخذت الحكومة من قناصل الدول التي لها الشأن في هذه اللجنة، التعهد الدال على قبولهم باسم دولهم أعمال هذه اللجنة بصفة قانون مرعى الإجراء، لا يتوقف قط على استثناء، وأن قراراتها تكون معبرة لدى المحاكم المختلطة وكقانون واجب التنفيذ بمجرد نشرها من لدن الخديو وعلى أن جميع القناصل^(١) أى قناصل دول ألمانيا والنمسا مع المجر وفرنسا وبريتانيا الكبرى^(٢)، وإيطاليا تتعهد بأن تشترك جميعها في تبليغ هذا القرار إلى سائر الدول التي اشتركت معها في تأسيس المحاكم المختلطة في الديار المصرية، وأن تدعوها لقبوله والموفقة عليه، فكتب يومئذ صاحب جريدة التيمس الإنجليزية يقول: إن أمر تعيين لجنة التصفية أزال الارتباك الأحوال، إذ صار لخمسة من الأربع عشرة دولة أجنبية نواب في تلك اللجنة: أما هذه الدول الخمسة فهي دولة الإنكليز والفرنسيين وألمانيا والنمسا وإيطاليا وسيبرمون قريبا، بناء على قرار مجلس التحقيق شروطاً مناسبة لحل الدين الموحد والغير موحد ويتعين على هؤلاء النواب سماع كلام كل فريق له مصلحة في هذه / القضية، إلى أن قال: [٧٤] لعمرى الحق أنا لم نر مملكة مذ خلق الله العالم إلى هذا اليوم لاقت ما لاقته بلاد مصر من الصعوبات المدهمة، للوصول إلى حل مشاكل أرباب ديونها، ومع كونها في وسعها أن تترك أرباب ديونها وشأنهم، وتنكر حقوقهم إنكاراً لا يمكن إقامة الدليل على فساده لكنها مع ذلك لم تراعى إلا جانب الحق ولم

(١) كان يمثل إنجلترا ولسون وبيرنج Baring الذى حل محل أوكلند كولفن في بونية، ويمثل فرنسا ليرون ديروول وبييج دى بوغاس، والنمسا فون كرير، وإيطاليا بارافلى، وألمانيا دى ترسكوف.

(٢) بريطانيا العظمى.

تسلك في أعمالها إلا مسالك الشرف والصدق فلله درها ولله ما أقوم مسالكها هـ.

وفي صباح يوم السبت غرة شهر جمادى الأولى، اجتمع في سراى الإسماعيلية رجال الحكومة يقدمهم^(١) الرئيس مصطفى رياض باشا والمأمورون، والملكية، والعسكرية، وقاضى المدينة، والعلماء لأداء رسوم وداع الخديو، حيث عزم في هذا اليوم على التوجه للجهات البحرية، وكان قد أعد لذلك جملة من ابورات البحر الخصوصية، في أوائل الساعة الثالثة من النهار، فنزل الخديو وركب وابوره المسمى فيروز ومعه رجال ديوانه الخاص، وقام بعد أن ودع القوم في الساعة الرابعة من النهار واجتاز من القناطر الخيرية إلى بناها العسل، ثم ميت غمر ثم زفتا، ثم سمبود، ثم المنصورة ثم دمياط فالمنصورة ثانيا، وقام منها بقطار السكة الحديد إلى بندر الزقازيق، ثم مدينة طنطا^(٢) ثم المحلة الكبرى، ثم مدينة شبين^(٣) التي هي كرسى المنوفية، ثم دمنهور، ثم دسوق إحدى مدائن الغربية. وفي جميع [٧٥] هذه المدن والبنادر كانت تقام له معدات الأفراح، وتهباً رسوم الزينة على أشكال جميلة، وتنصب الحراقات النارية، والألعاب العجيبة في كثير من الأنحاء، وكانت المشاهد غاصة بالطبول والمزامير، وجماعة المغنيين، والمغنيات وكان الأهالى على تباين درجاتهم يتسابقون إلى التعالى في زخرفة دورهم، وتزيين محالهم بالأضواء، وأنواع الفرش والطنافس حتى إن من كان منهم معسراً أو على إملاق يتداين بالرباء القادح على رهن عقار زوجته، أو متاع بيته حتى لا يسقط من عداد ذوى الاعتبار.

(١) يتقدمهم.

(٢) طنطا.

(٣) يقصد شبين الكوم عاصمة المنوفية.

ولما أن وصل إلى طنطا قام الرئيس مصطفى رياض باشا ومعه أعضاء لجنة التصفية المتقدمين الذكر في قطار مخصوص للسلام عليه، فاتخذ لهم مأدبة فاخرة، وبعد العشاء من تلك الليلة رجع الجميع إلى مصر المحروسة. وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين منه، عاد الخديو إلى مقره بمصر المحروسة بعد تغيبه خمسة وعشرين يوماً، فازدحمت على أبوابه الشعراء على عادتهم، وقدمت له قصائد التهاني ومنها تهنئة الشيخ محمد النجار أحد مدرسي الأزهر والمكاتب الأهلية وهي:

ومالى إلا محض ودى مقصد
عليهم من المفروض والحال يشهد
وأجحد أضواءها^(١) وأنا أرمد
وعيشى والله المحامد أرغد
وسهمى لأغراض النفوس مسدد
وللحرب منحوس وللسلم مسعد
له الراية الخضراء به النصر يعقد
ومن نكد الدنيا على الحر أنشد
يقربها والحال من بعد أنكد
سبتك حسان فى الخدور وخرد
فيفضح الجفن الجريح المسهد
ويبيض من فوديه ما هو أسود
وما الخطب خطب عند من يتجلد
عريا من معاليهم وبالفخر جدد

٧٦ : حمدت المسرى فى البدء والعود أحمد
ومدح الرعايا فيك يا خير من سما
أنكر^(١) ضوء الشمس حال طلوعها
وأبغى من الأيام نكد عيشها
وأمسك سهماً عوجته يد الهوى
وأطلب حرباً من زمان سالم
على أن لى فى الحرب أسد طالع
وأطلب يوماً من عدو صداقته
وما أنا ممن عنده وصل ساعة
فيا راضعاً أرضع الهوى وهو مالح
فما أنا من تحوى هواه خريدة
ويحمر فى خديه ما هو أبيض
سألبس للأيام ثوب جلادة
رجال ميامين كرام زهت بهم

(١) صحتها أُنكر.

(٢) صحتها أضواءها.

وأعظم بأعلام الهدى ونجومه
 وأنعم بعبث لا يطار مریده
 وبدر ولكن أفق مصر سعود
 وكشف جلباب الجهالة عن سنا
 لقد جاء مصر اليوم وهى تريده
 ومن حسن أفكار له طاف أرضها
 فله أيام لقد زينت به
 والله سيار والله عودة
 فياكعبة المعروف بل كعبة النداء
 وياسيداً للعدل أضحي مسيداً
 لقد غبت ولكن لم تغب عن فؤادنا
 وللله يوماً عدت فيه وساعة
 يناديك فيه السعد وهو مؤرخ

وأكرم بن هم للخلافة مسند [٧٧]
 وأحسن بقطر قد تولاه سيد
 فلازال في أفق السعادة يصعد
 بدور بأفكار حسان تفردوا
 وسهل وعر الملك وهو ممد
 لينظروها بالعين والعين تنقد
 مصايحها من نوره تتوقد
 والله أرض حلها فهى معبد
 ويامن هو السهم الكريم المجد
 ومن هو بالتوفيق أهدى وأرشد
 فؤادنا وللبدرد في أوج الكمال ترد
 بمقدمك السامى وأنت المؤيد [٧٨]
 لمقدم توفيق سرور يجدد

وفيه أيضا وقعت حادثة في الإسكندرية من قبيل حوادث القرون
 المتوسطة التي كثيراً ما كانت تقع بين إسرائيلى^(١) تلك القرون ومسيحية^(٢)
 ذلك أنه وجدت يوم عيد فصح اليهود جثث^(٣) غلام يونانى على سطح
 كنيس اليهود الكبرى بالإسكندرية، فذهب آل ذلك الغلام ووالده إلى أن
 اليهود خطفوه، وأخذوا دمه لاستعماله في مراسيمهم الدينية، وأزاعوا^(٤)
 هذا الخبر بين اليونان المقيمين هناك، فالتهبت نيران غيظهم وتجمهروا
 جماهير مسلحة في الأنحاء والمواقع الساكنة بها اليهود، وأبوا سماع حقيقة
 الأسباب التي أوجبت موت الغلام، وطاقوا بالأزقة والطرقات ينادون

(٣) صحتها جنة.
 (٤) صحتها أذاعوا.

(١) يقصد إسرائيلى.
 (٢) يقصد مسيحية.

بالويل والانتقام من طائفة اليهود، وتزاحوا حول كنيسهم يرمونه بالأحجار حتى كسروا النوافذ وهشموا الأبواب، وسرى هذا العمل إلى دور الأغنياء والفقراء من اليهود أيضاً، وأوسعوهم سباً وشتماً وتهديداً، فاضطرب اليهود وكمنوا في بيوتهم، فتداخل موظفو الحكومة واجتهدوا في تسكين الفتنة/بالتى، فلم ينجحوا لاستفحال أمر الثائرين والتهاب نيران [٧٩] غيظهم، واستمر الحال كذلك طول النهار، ومع كون قنصل اليونان هناك أفرغ جهده في إقناع القوم، بأن موت ذلك الغلام ما كان إلا بأسباب سقوطه إلى سطح الكنيس، وكذا أيد لهم ذلك أحد أطبائهم فإنهم لم يقتنعوا، ولم يرتجعوا وأصرروا على الأخذ بالتأثر وقطع دابر اليهود.

وفي صباح اليوم الثانى ظهروا أيضاً حتى غصت بهم الطرقات والحارات وهم ينادون الإيقاع بطائفة اليهود، وكانوا يشخصون^(١) وجوه الميرين^(٢) وأبناء السبيل، لعلهم يعثرون على يهودى فيوقعون به، ويهدرون دمه جهاراً، فلم يعثروا على أحد، ولما وصلت الأخبار إلى مصر المحروسة ببيان ما تقدم، بعثت الحكومة الجند مشاةً وركباًنا يصحبهم ناظر ديوان عموم الجند، فكانوا يطوفون الليل والنهار وهم يفرقون تلك الجماهير بالتى، وضوعف عدد الجند الملازمين للقراولات^(٣) ومع هذا كله فقد كان يخشى من اشتداد نار الثورة، وبلوغها إلى حد الثورة^(٤) التى وقعت فى القرن الخامس بين الإسرائيليين والمسيحيين.

[٨٠] اعلم أنى لم أتعرض فيما نقلته من أخبار الرئيس مصطفى/رياض باشا منذ عاد إلى خطة الرئاسة، إلى هذا التاريخ لذكر شىء من أحواله الشخصية، أو أطواره أو نواياه نحو بنى نوعه، الذين باتوا فى قبضة يده

(٣) أقسام الشرطة.

(٤) صحتها الثورات.

(١) يتفرسون.

(٢) صحتها المارين.

يرمقونه بعين المخافة، وهو يرمقهم بعين الانتقاد، ويشيرون إليه بيد المذلة والخوف، وهو يختال في ثياب العز والرئاسة # وما حملني الآن على ذكر طرف منها إلا لزوم استيفاء الحوادث والأعمال التي وقعت على يديه، وإفادة القارئ بغلهم من حوادث كل شهر بحيث يكون على علم بمنشأ الحادثة إجمالاً، إذا لم نقل تفصيلاً وما جرى فيها من الأعمال بالبيان، حتى لا يكون بحول الله تداول هذا المجموع بين المطالعين عبثاً # فأقول: إنه لما أن تولى الرئيس المشار إليه مسند الرئاسة وأحكم رباط المودة بينه وبين مراقبي الإنكليز والفرنسيين وقناصل الدول المحبة^(١)، قيل: إنه كان لا يعبأ إلا بذاته ولا يحفل إلا بصفاته، فلم يقرب إليه إلا حاشية السوء، والمملقين، الذين دأبهم الوسوسة وكشف عورات / الناس، وتعقب [٨١] الذلات^(٢) والأخذ بصغائر الأمور... فلما اشتهر بهذا الوصف أمره، وعلم الناس أن له عيوناً ترصد الصغائر، فتعظمه لديه لازموا الانكماش وداخلهم الخوف، خصوصاً حاشية الخديو إسماعيل وأعوانه ومن شملتهم نعمه، لما يعلمونه من انحراف الرئيس وإعراضه عنهم وتعقب هفواتهم جزاء ما فعله به مخدومهم كما مر بيانه في محله # قيل: ولم يكن هذا الخوف ليردعهم عن الاجتماع زمراً ي دور بعضهم البعض وخصوصاً في دار أحدهم، وهو الفريق شاهين باشا كنج وزير الحربية قبلاً، أى على عهد الخديو إسماعيل^(٣) فلم يخف على الرئيس المشار إليه خافيتهم، بل ضيق عليهم، وشدد وأرهب، وبث العيون لترصدهم أينما ساروا، وحيثما صاروا، وتنقل لهم من أخبارهم أشكالاً فأضمر لهم السوء، وعمل على تبديد

(١) الصديقة.

(٢) صحتها الزلات.

(٣) كان مخلصاً للخديو إسماعيل إلى حد أنه أرغم أعيان الوجه البحرى على الاعتراض

على تنازل الخديو عن العرش.

شملهم، وقطع رباط اجتماعهم، فبعث إليهم من يتوعدهم بالشر وخص بذلك الفريق شاهين باشا كنج، حيث هيج عليه بعض مشايخ البلدان، التي بها مزارعة وإقطاعاته، وأرشدتهم إلى طرق الوقيعة والاعتساف، فقدموا فيه الشكايا والمحاضر بأصناف التداعى إلى الرئيس المشار إليه، فجعلها سبيلاً [٨٢] للتنديد وعصاة للتهديد، وبالغ فيها حتى صار يتحدث بها في مجالسه / الديوانية، وبين ذويه والمتقربين إليه، واتصل الخوف بالفريق شاهين باشا إلى حد الاعتقاد بأنه سيؤخذ في يوم ما أخذة مقتدر جبار.

والتُّظْمِ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدُ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلاَّةٍ لَا يَظْلِمُ
 قيل فلما كادت عزيمة الفريق المشار إليه تنصرم راسل الخديو إسماعيل سراً، وأعلمه بالخبر، وشاوره فيما يحسن به خلاصه من يد الرئيس وحبائله المنصوبة، فزين له الدخول تحت حماية دولة إيطاليا، ولم يتأخر في أن سعى وعمل على إنجاز هذا الأمر، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى أرسل إلى الفريق شاهين باشا الأوراق المؤذنة بتبعيته لتلك الدولة # فلما وردت إليه بادر هو أيضاً، فحصر أرزاقه، وضبطها، وأقام عليها وكلاً يباشر أمرها، ويبعث إليه برزقها، وعقد نيته على الرحيل إلى مدينة نابولى إحدى المدائن التابعة لدولة / إيطاليا وهي مقر الخديو إسماعيل : ولما علم الرئيس بالخبر تامل، وأخذ يتدبر في فساد حيلة الفريق شاهين باشا، فأرسل إلى المسيو دى مارتينو قنصل جنرال دولة إيطاليا، وتكلم معه طويلاً وراجعته في الأمر فلم ينجح، فزين للخديو معاكسة القنصل والإصرار على عدم اعتبار أوراق دولة إيطاليا ففعل، ولكنه لم ينجح أيضاً حيث تجرد القنصل المشار إليه لمقاومة الخديو، والرئيس معاً، والذب عن شرف دولته، واعتبارها فضاق صدر الرئيس وزاد به التحرق ولكنه لم يجد للوصول إلى غايته سبيلاً.

وفي الخامس من رجب الفرد قيل: إن القنصل المشار إليه ذهب إلى دار الفريق شاهين باشا، ومعه بعض تبعة دولة إيطاليا، ولبت هناك قليلاً إلى أن جهز الفريق متاعه وركبوا في عربة وذهبوا إلى محطة السكة الحديد، ومنها ركبوا قطار المساء إلى مدينة الإسكندرية قصد الذهاب إلى مدينة نابولي.

وفي صباح السادس منه عقد الرئيس مجلس النظار خلافاً للعادة وحرر أمراً خديوياً صورته:

من بعد الاطلاع على القانون الصادر في السادس من شوال سنة ١٢٨٥ بخصوص الرعية العثمانية، ومن حيث أنه مدون بالبند الخامس من هذا القانون أنه إذا دخل أحد الرعايا / العثمانية في تبعية دولة أجنبية من [٨٤] غير استحصاله على إذن من الدولة العلية، يعتبر دخوله هذا لاغياً كأن لم يكن، وتجب معاملته في كل الأمور بصفة كونه من رعايا الدولة العثمانية..، وحيث أن شاهين باشا الذي هو من رعايا الدولة العثمانية الحائز لرتبة الفريق، وسبق أنه تولى قيادة فرقة عسكرية مصرية، وكان سابقاً ناظر الحربية التمس وقبل دخوله في تبعية دولة أجنبية بدون أن يعطى له أدنى إذن بذلك.. وحيث أن شاهين باشا مع كون دخوله في تبعية دولة أجنبية يعد باطلاً قد تراءى^(١) له عند سفره من القطر المصرى أنه يمكنه الاستغناء عن طلب باسبور^(٢) ولم تعترف الحكومة المصرية بأدنى حق له فيه فبعد الوقوف على ما أبداه مجلس نظارنا، قد أمرنا بتجريد شاهين باشا من جميع رتبة وألقابه وصفاته الرسمية مع محو اسمه من دفاتر ضباط الجيش المصرى، وهو ممنوع من الرجوع إلى الديار المصرية اهـ.

قيل: ثم أخذ هذا الأمر وتوجه به إلى مقر الخديو / وألح عليه بقبوله

(١) صحتها تراءى.

(٢) جواز سفر.

والإقرار عليه، فلم يسع الخديو إلا الامتثال والقبول، فبعث به الرئيس من ساعته إلى الفريق شاهين باشا مع رسول مخصوص، وسلمه إليه وهو في الباخرة المتوجه فيها إلى مدينة نابولي، قيل فأخذه وهو هادى اللب ساكن القلب، لم يعتره فزع ولا وجل، قلت حدثني من أثق في حديثه.

قال: كنت في هذا اليم بالباخرة التي نزل بها الفريق شاهين باشا، وكنت مودعاً لخليل أغا كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل، حيث كان متوجهاً أيضاً إلى مدينة نابولي فراراً من إزاء^(١) الرئيس مصطفى رياض باشا، فبينما نحن مهتمون بإصلاح ما معنا من متاع السفر، إذ طلع على ظهر الباخرة أحد مأموري الحكومة، وعلامات الاضطراب تنطق من وجهه فسأل ربان المركب، أين يكون الفريق شاهين باشا؟ فقال هو في هذا الجانب وأشار إليه فذهب المأمور نحوه، وقال للفريق ولم يسلم.. قد أمرني دولة الرئيس أن أسلم لديك هذا الأمر العالى فهاهو خذه، وتصفحه واعمل بما فيه.. قال فتناوله وقضه، وأخذ يقرأ^(٢) وهو هادئ اللب ساكن القلب، وبعد قرائته^(٣) التفت إلى المأمور وقال: لا بأس عليك قد حسبنا هذا وغيره في حسابنا، فقل للرئيس عافاه الله إني عامل به حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، ثم التفت إلينا، وهو يبتسم، وقال: أيم الله لو بغى جبل على جبل لك الباغى، قال: فقلت أصلحك الله هل هى وصية يجب العمل بها، فقال ويجب أن تخلد في بطون التواريخ، ليعلم كل من يطلع عليها كم تقاسى البلاد وأهلها من الجور والبلاء والظنك والعناء: قال فخفت أن أطيل الكلام معه بحضرة المأمور، وتشاغلته عن حديثه بإصلاح بعض متاع السفر حتى تركنا المأمور وانصرف، فنظرت إليه رجاء أن يعيد

(٣) صحتها قراءته.

(١) صحتها إيداء.

(٢) صحتها يقرؤه.

الحديث معي، فلم يفعل، وكان لم يكن شيء به قط فتعجبت من هذا السكون والثبات، وودعتهم، ونزلت وأنا في خوف ما عليه من مزيد ظاناً أن قد وصل إلى الرئيس خبري من ذلك المأمور، فرجعت إلى مصر المحروسة ولازمت داري أياماً حتى سكن خاطري، واطمأن جاشي ولم يقدر الله على بمكروه!..

قد مر في ذكر حوادث شهر ذي الحجة سنة ست وسبعين ومائتين وألف [٨٧] ما قالته جريدة لاريفورم الإفرنسية، من أنه وقعت أسباب أوجبت الانقباض ما بين الخديو توفيق باشا وأبيه إسماعيل وعمه عزم عليه الخديو من تشكيل لجنة للنظر في شأن ما يتعلق بالمحال المدعى أبوه بملكيتها وقد وعدنا بذكر ما سيقع في هذا الشأن، فوفاء بهذا الوعد أقول إنه #.

في الثامن منه أي من رجب الفرد أصدر الخديو بإشارة الرئيس أمراً يقول.. من حيث إنه تبين من حسابات نظارة المالية من الدفاتر الخاصة أن العقارات والسرايات وملحقاتها المبينة بهذا، صار بناء بعضها وشراء البعض الآخر بأموال الحكومة، وأنها لازمة للمصالح العمومية أو لإقامة خديو مصر وأنها كانت لغاية الآن مخصصة لما ذكر، وحيث أن العقارات المذكورة لا يصح بناء على ذلك أن تكون ملكاً لأحد من الناس، وإن كان قد تحررت بها حجج بأساء بعض أعضاء عائلتنا، فبعد الوقوف على ما أبداه مجلسن نظارنا تأمر: بأن جميع العقارات والسرايات وملحقاتها الآتى بيانها قد صار ملكاً للحكومة، وألحقت بالأملك الأميرية / المعدة للمنفعة [٨٨] العمومية والعقارات المذكورة هي:

سراى عابدين مع ما يتبعها من الأبنية وغيرها، من جميع الملحقات بمصر القاهرة # وسراى الإسماعيلية وملحقاتها وما يتبعها من أبنية بمصر القاهرة # وسراى القصر العالى وملحقاتها وما يتبعها من الأبنية بمصر

القاهرة، بخط الإسماعيلية وملحقاته المعروف بمخزن الموبليات # ومطبعة بولاق وملحقاتها مع ما يتبعها من الآلات والمهمات بمصر القاهرة # وإسطبلات بولاق بمصر القاهرة وسراى الجزيرة معا^(١) يتبعها من الأبنية، والجنيينة البالغ مقدار ذلك اثنين وستين فداناً وكسور والأراضى التى تتبعها، ومقدارها ثلاث آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعين فداناً وغيرها ومن جميع الملحقات الكائنة بالجيزة بمديرية الجيزة واللوقاندة والكشك والحمامات وملحقاتها بمدينة حلوان # وجنيينة النزهة الكبيرة المعروفة قديماً بجنيينة باستيريه الكائنة على ترعة المحمودية بالاسكندرية # وسراى الرمل وجميع ما يتبعها من الأبنية والقشلاقات والإسطبلات وغيرها من الملحقات الكائنة بالرمل بالقرب من مدينة الاسكندرية # وسراى دفينه وما يتبعها من الأبنية والأراضى والقشلاق وغير ذلك من الملحقات الكائنة بالمنصورة # وسراى المنيا..

قيل: فبعد صدور هذا الأمر هاجت ذرية محمد على وماجت ونقموا على الخديو، واختصموه ولازموا مساكنهم أياً ما انقطع فيها حبل المودة التى كانت بينهم وبين والدته وآل بيته، ومن هذا الحين كثر بينهم التباغض والتشاحن، واشتدت الفتن، وعجت فى الرؤس^(٢) المحن فأخذ كل فريق يتعقب ذلات^(٣) الآخر، ويعمل على تذييله^(٤) وتنكيله بقدر ما تصل إليه قدرته حتى كاد أن يتسع الخرق ويتعذر إعادة الوفاق بين الطرفين.

وفى يوم السبت الثامن عشر منه: كان عيد جلوس الخديو/ تعطلت الدواوين والمصالح الميرية، وعملت فى صبيحته تشريفة بسراى عابدين فتقدم إلى الخديو أولاً الأمراء من ذرية محمد على، ثم العلماء، ثم الأشراف

(٣) صحتها زلات.

(٤) يقصد إذلاله.

(١) يقصد مع ما.

(٢) صحتها الرؤوس.

وجميع النظار، قيل: فاقترب من مجلسه الرئيس مصطفى رياض باشا وهناه بالعيد، الذى هو ثانى أعياده، واتفق أن ورد من دار الخلافة السلطانية خبر مفاده أن السلطان عبد الحميد، وجه رتبة المشيرية إلى الرئيس مصطفى رياض باشا، فأعلمه الخديو بذلك على مشهد ممن حضروا فى هذا اليوم من عائلة محمد على والعلما والأشرف والنظار، ثم دخل ضباط الجند ثم تلامذة المدارس الحربية والملكية، ثم أرباب الرتب العالية ثم مديرو الأقاليم البحرية، والقبلية مع مشائخ البلدان ومشائخ وعمد العربان، ثم المفتشون والمأمورون الملكية، ثم الرؤساء الروحانيون ثم مأمورو الأراضي الميرية، وسكك الحديد، ومفتشو الدائرة السنية وأعضاء لجنة التصفية ومأمورو صندوق الدين العمومى، وأعضاء المحاكم المختلطة على اختلافهم، ثم قناصل الدول فقام أحدهم وهو المسيو دى مارتينو قنصل إيطاليا بما له من أقدمية على باقى القناصل^(١) / وتلا مقالة باللغة الإفرنسية [٩١] ونصها كما فى جريدة الوقائع الرسمية.

هيئة حضرات قناصل الدول المتحابه، يعدون أنفسهم من السعداء كى يقدموا إلى على مقامكم السامى تهنئاتكم بمناسبة عيد الجلوس الجارى إشهاره فى هذا اليوم بمصر، مع السرور، ويتمنون أن يصير استمرار عيد هذا اليوم مدة طويلة من السنين لسعادة القطر المصرى، وثروة أهله وهم معتمدون اعتماداً أكيداً من أن سمو دولتكم نتبعون الأمر الذى شرعتم فيه مع كثير من النجاح، وتستميلون على ذلك مودة الدول الأجنبية ومحبتهم لجنابكم* فقال الخديو إنى أتشكر لحضرتكم مزيد الشكر وإنى

(١) بمعنى أنه كان عميد السلك الدبلوماسى وقتذاك. وكان المثلون الأجانب فى مصر لهم صفة سياسية بالرغم من تبعية مصر لاستنبول.
* واضح أن ما نشر الوقائع ترجمة ركيكة لخطاب المسيو دى مارتينو.

لأجد فيما أبديتموه من الكلام دليلاً جديداً على الميل والمحبة التي ظهرت لي يوم جلوسى، وإني لأجد كذلك على حسن أفكاركم التي هي عندي نفيسة جداً، وهي أكيد أمنيتمكم لمستقبل بلادى، فانه سبحانه وتعالى يتكرم بإنجاز المساعى بحسن مساعدتكم، التي لا زالت معنا وأرجو المولى سبحانه وتعالى أن يقبل الأمانى التي أتمناها معكم / من صميم الفؤاد فى حق سعادة القطر المصرى وثروته اهـ.

[٩٢]

قلت: وغصت رحبة عابدين فى هذا اليوم بأرباب الطرق والأشيار^(١) يضربون الطبول، ويزمرون ويضحون بالتهليل، ويضربون الدفوف والكاسات ويمتدحون بألفاظ وألحان لا يعلمها إلا من تعود سماعها، وهى عادة لم نعهد حصولها من قبل فى مثل هذه المواسم والأعياد، وقد طاف أرباب هذه الأشيار الذين فى الأقاليم والمحافظات فى هذا اليوم أيضاً بجهااتهم وفعلوا^(٢) كذلك أرباب الأشيار بمدينة الإسكندرية فقد قال صاحب جريدة المحروسة: إنهم اجتمعوا فى هذا اليوم ومروا بأشيارهم إلى أن وصلوا ديوان المحافظة، وقدموا الدعوات للخديو، ثم انصرفوا، قال: واحتفلت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية لهذا العيد أيضاً، وفى وقت العصر مر مائة وخمسون تلميذاً منهم، وطافوا ببعض أنحاء المدينة إظهاراً للمسرة حتى إذا وافوا الضبطية^(٣) أجروا مراسم التعظيم، ثم وقفوا أمام المحافظة وتلا أحدهم قصيدة يمدح بها الخديو، فقبل بالألحان من إخوانه وبعد أن نادوا بأصواتهم يعيش الخديو ثلاثاً، عادوا إلى مدرستهم / والناس خلفهم فى غاية الازدحام.

[٩٣]

وفى يوم السبت تاسع شعبان فى نحو الساعة الثالثة من صبيحته توجه إلى سراى رأس التين بالإسكندرية، أعضاء لجنة التصفية قصد تقديم

(٣) الحكمدارية ، مديرية الأمن.

(١) رجال الطرق الصوفية.

(٢) صحتها وفعل.

قانون أعمالها للخديو، فاستقبلهم ذو الفقار باشا التشرىفاقي الأول وأجلسهم برهة من الزمن، ثم دعاهم الخديو فدخلوا وكان جالسا معه وقتئذ الرئيس مصطفى رياض باشا، وبقية النظار ورجال ديوان الخديو الخاص والياوران، فتقدم المسيو ريفرس ويلسون رئيس اللجنة وأدى مراسم التحية وتبعه بقية الأعضاء، وأبدأ^(١) للخديو عبارة تتضمن أن أعمال اللجنة تمت على الوجه السديد والطريق القويم المفيد، ثم قدم له قانون أحكامها فقبله الخديو وأجاب الرئيس المومى إليه بعبارة تدل على امتنانه من هذه الأعمال الجليلة، وبعد ذلك جلسوا جميعا وقدمت لهم القهوة فشربوها، ثم قام الخديو وقدم للمسيو ويلسون المشار إليه النشان المجيدى من الطبقة الأولى بيده فاستلمه، وبعد ذلك أعطى النشان العثماني من الطبقة الثالثة لكل من المسيو كولفن، والمسيو براويللى والمسيو دى بوغان، والمسيو تريكو/ والمسيو ديجره، والمسيو دى رول وبطرس باشا غالى # [٩٤] كذلك النشان المجيدى من الطبقة الرابعة لكل من المسيو برونير، والمسيو موريز، والمسيو كارتكل كاتب يد المسيو ويلسون وبعد أن صرفت أعضاء اللجنة قدم الخديو للرئيس مصطفى رياض باشا النشان العثماني من الطبقة الأولى، والنشان المجيدى من الطبقة الأولى للمسيو دى بلنيار المراقب الفرنسوى، وفى ذلك الوقت وجهت رتبة روم إيلى بكلريبكى لكل من على مبارك باشا، وحسين فخرى باشا، وعلى إبراهيم باشا ورتبة الفريق لمحمود باشا سامى المعروف بالبارودى، وقدم النشان المجيدى من الطبقة الأولى، لكل من مصطفى فهمى باشا ناظر الخارجية وعثمان رقى باشا ناظر ديوان الجند، والنشان المجيدى من الطبقة الثانية لكل من حسين فخرى باشا، وعلى إبراهيم باشا، ومحمود باشا البارودى، والنشان المجيدى من الطبقة الثالثة لميخائيل كحيل بك، وانصرفوا جميعا.

(١) صحتها وابدئ.

وعند الغروب استدعى الخديو للطعام النظار، وأعضاء لجنة التصفية
 سراى رأس التين، وكانت مزدانة من داخلها وخارجها بفوانيس الشمع
 والغاز، وفي منتصف الساعة الأولى من الليل حضر المدعون^(١) جميعاً
 فدعوا إلى الطعام، وكانت الموسيقى تترنم، وبعد الفراغ من الطعام قيل:
 إنه وردت من سائر جهات الحكومة رسائل التهاني للخديو من عمد البلاد،
 وتجارها، والقضاة، والعلماء، والمعتبرين، والوجوه، والمأمورين وفي أوائل
 الساعة الثالثة من تلك الليلة، حضر إلى رحبة السراى كثير من الجند
 المشاة المقيمين بالإسكندرية مع ضباطهم ومسيقاتهم^(٢) رافعين بأيديهم
 فوانيس الزجاج الملون، موقودة بالشموع وساروا إلى أن وصلوا واجهة
 السراى المشرفة على تلك الرحبة، حيث كان الخديو وسائر النظار وأعضاء
 اللجنة ينتظرونهم، فاصطفوا هناك وبعد أن لبثوا هنيهة، نادوا جميعاً بصوت
 مرتفع يعيش الخديو وكرروها ثلاثاً ثم ساروا بهذه الهيئة، وعبروا شوارع
 البلد حتى انتهوا إلى ميدان المنشية فوقفوا هناك برهة، وهرع الناس
 يتقاطرون إلى الميدان حتى غصت بهم الشوارع، وفي أواخر الساعة الثالثة،
 اجتمعت أرباب الطوائف والطرق والأشيار، تتقدمهم المشاعل والطبول
 والمزامير والبيارق وفوانيس الشمع، وساروا إلى أن دخلوا السراى فرقا
 فرقاً في عدد كثير، وكان كل^(٣) فريق منهم / نظام مخصوص، وهم يضجون
 بالأصوات المرتفعة ثم ورد من بعدهم تلامذة المدرسة الخيرية، وفي أيديهم
 مصابيح الشمع تتقدمهم معلومهم وعند وصولهم إلى مقر الخديو، صاروا
 يترنمون بالأبيات الشعرية المتضمنة الثناء والشكر للخديو، وبعد أن تكامل
 الزائرون على الصورة المتقدمة، انتخبوا منهم سبعة أشخاص ليقدموا

(٣) صحتها ولكل.

(١) صحتها حضر المدعون.

(٢) صحتها موسيقاتهم.

مراسم التهاني للخديو، قيل: فقابلهم ولاطفهم ثم انصرفوا جميعاً.

وفي ذلك الوقت كان ساحل البحر مزداناً بالأنوار، وكذلك البواخر
الراسية في المينا وواجهات المعامل والورش، وقد سار عدد من القوارب
تحمل الجماهير من الناس، وكانت مزدانة بالأنوار والقناديل، وفي بعضها
الطبول والمغنيين والمغنيات، فانتهوا إلى مقر الخديو وهم يغنون ويعزفون
ويضربون طبولهم إلى أن كانت الساعة السادسة من تلك الليلة، فأطلقت
شلتكات البارود والحرايق والألعاب النارية، أمام السراي، ومن باخرة
الخديو الخصوصية، وباخرتي مصر ومحمد علي، واستمرت كذلك إلى أن
مضت الساعة السابعة من الليل، أما أرباب الزوارق فقد استمروا على
ما وصفنا إلى قبيل الفجر فازدحم كثير / من المتفرجين من الأهلين [٩٧]
والأجانب نساء ورجالاً وأطفالاً في هذا المشهد الحافل، وقد تلا المسيو
ويلسون أمام الخديو مقالة هذا نصها كما في جريدة الوقائع المصرية:

نرجو من مقامكم السامي أن تسمحوا لي بأن أقدم لدولتكم الخديوية
لائحة القانون، الذي كلفنا بتحضيره طبقاً للأمر المؤرخ في الحادي
والثلاثين من شهر مارس سنة ١٨٨٠، وإني أبدى باسم لجنة التصفية
ما نتمناه من أن تسوية حالة مالية مصر هذه تحقق الغرض الذي شرعتم
فيه بالاتفاق مع الدول الفخيمة، عند تشكيل هذه اللجنة، وقد كانت
مأموريتنا مشوبة بالصعوبة إلا أننا قد ألهمنا فيها الرغبة الصادقة في
التوفيق بين المنافع المتعددة المتكونة منها، بدون مراعاة الخواطر مطلقاً هذا
ولم ننس أن ثروة مصر هي أقوى تأمين لمداينيتها، ولذا لم نتوقف مطلقاً أن
نجعل أول تكليف على إيرادات الحكومة المبالغ الضرورية اللازمة لسير
مصلحتها الإدارية بقدر المبالغ التي رأت فيها حكومة دولتكم الكفاية، ومع
ذلك فقد أمكننا أن نقلل بطريقة محسوسة جانباً من الخسائر التي / كان [٩٨]

يخشى من أنها تفرض على المداينين، وأن نقدم تأمينات أكيدة لتأدية الديون بكيفية منتظمة، وأن تتخذ تدابير قوية لاستهلاك تلك الديون، ونعد أنفسنا من السعداء حيث اشتركنا في هذا الأمر الذى يكون له موقع عظيم، فى تاريخ مصر، وحيث أن حضرتكم الخديوية ومستشاروها يجبولون على حب الوطن، واحترام التعهدات والمواثيق ومتنورون بتجارب الماضى، فلنا ثقة ثابتة بأن تبقوا مالية مصر واعتبارها فى حالة تحفظ لدولتكم الخديوية، امتنان أهالى القطر المصرى ومحبة الملل^(١) الأجنبية وميلها إليكم.

فأجابه الخديوى قائلاً، إنه باستلامى من جنابكم لائحة القانون الذى حضرتتم لتقدمه لى، أريد قبل كل شىء أن أشكر للجنة ما أجرته من الاعتناء والدقة فى شأن هذا الأمر المهم.. نعم كانت المأمورية التى أحييت على هذه اللجنة صعبة، وهى بالحقيقة صعبة جداً، حيث أنه كان الغرض منها تسوية منافع مختلطة ومتعددة على التوفيق بينها، ونظراً لحالة تلك الصعوبات ولشأن تلك المنافع، قد قبلت حكومتى / مساعدتكم واثقة من أن حضراتكم اتباعاً لأفكار حكوماتكم الصائبة على الدوام ونظراً إلى معرفتكم بالحالة الراهنة، ورغبتكم الصادقة لإجابة كافة الاحتياجات على قدر الاستطاعة، تبذلون همكم فى وجود طريقة أكيدة لأن نصل جميعاً إلى الغرض المقصود، وإنى مستوثق من أننا نتحصل عليه بواسطة أعمالكم، التى اتمتموها الآن بدون مراعاة خواطر، وأوقعنا التصديق عليها بتمامها، فالذى يجب علينا من الآن فصاعداً هو إنجاز تلك الأعمال وتأكيد ثمراتها ونتائجها، ونؤكد لحضراتكم أننا نقوم بهذا الواجب مع الاستقامة والصدقة كما قمتم بما وجب عليكم، حيث أن أحوالنا ومسلكتنا هو الميل إلى حب

(١) الطوائف.

الوطن ومراعات^(١) التعهدات والمواثيق على الدوام، والاستمرار، فكونوا متيقنين من ذلك، ونرجوا من حضراتكم أن تعتقدوا أن خدمتكم هذه العالية التي أدبتموها إلى قطرنا يكون لها تذكرة حسنة عندنا، كما أن امتناننا الحقيقي لحكوماتهم التي أظهرت في هذه الحالة ميلها الأكيد لنا، كما أظهرته في كافة الأحوال الصعبة، / التي سبقت الإشارة إلى تشكيلها تحت [١٠٠] رئاسة محمود باشا البارودي، وافتتح جلساتها بخطاب ألقاه، بسط فيه الغاية المطلوبة من تشكيل هذه اللجنة قبل وبعد ذلك جرت المقابضة، فتقرر أن تشكل لجنتان الأولى تؤلف من لارمى باشا، وجولد سميت، وبلوتز باشا، ومرعشلى باشا، ومحمد رضاء باشا، وراشد حسنى باشا، وخالد باشا، وأحمد بك عراقى وفرحات بك، وحسن بك مظهر ويرأسها الجنرال أستون باشا^(٢)، واللجنة الثانية أعضاؤها بقية أعضاء اللجنة الأولى. ويرأسها أفلاطون باشا ومن اختصاصات الأولى، النظر في ترتيب تنظيم الجيش، والثانية تنقيح القوانين العسكرية، وإدخال المنظمات اللازمة، وسن قانون للترقيات العسكرية، قيل: ومتى أتمت كلا^(٣) منها ما عليها ترفع قراراتها إلى هيئة اللجنة العمومية، فكانت هذه اللجنة وأعمالها سبباً في استفحال أمر الجند، ورسوخ قدم زعمائهم كما سيأتى بيانه في محله إن شاء الله.

وفي السادس منه رجع الخديو من سياحته بجهات الإسماعيلية، والسويس وبورسعيد، إلى مدينة الإسكندرية بقصد / اللبث ووردت [١٠١] الأخبار إلى مصر المحروسة تشير إلى ما حصل من الزينة، وليالى الأفراح

(١) صحتها مراعاة

(٢) الكولونل استون Stone ضابط أمريكى التحق بالجيش المصرى ورأس هيئة الأركان فيه عام ١٨٧٠ وغادر مصر بعد الاحتلال عام ١٨٨٢.

(٣) صحتها كل.

بالجهات الثلاثة المذكورة عند وصول الخديو لها.

وفيه أيضًا شاع أن المسيو دلسيس هذا قدم للخديو ومجلس النظار طلبًا بحفر ترعة توصل نجر دمياط بمدينة بورسعيد، وترويحًا لفوائد التجارة ولإزدياد العمران بالمدينة المذكورة، فترتب على هذه الإشاعة أن هبطت أسعار الأملاك بمدينة الإسكندرية، وخاضت أصحاب الجرائد العربية والأجنبية في الكلام عنها ما بين مستقيح منها ومستحسن، قيل وأصبح هذا الطلب موضع بحث هيئة النظار، فطال في شأنه الجدل، ووقع النقار^(١) وترتب عليه حصول النفرة بين الرئيس مصطفى رياض باشا وبين المسيو دى بلنيار المراقب على أن الرئيس كان يعمل على فساد هذا الطلب، ويصرح بأنه لا يلائم مصلحة البلاد الداخلية والخارجية، والمراقب يسعى خلف إخفاق مساعي الرئيس ويعضد طلب المسيو دى لسيس بقدر ما في وسعه.

فلما استفحل بينها الشقاق وانفصمت عرى الوفاق، وباتا على طرفي نقيض اتخذ كل منهما أعوانًا وأنصارًا، يؤيدون حجته، ويحامون عن حقوق خطته ويبعثون بالرسائل المطولة في هذا الشأن إلى الجرائد العربية والأجنبية، حتى تفاقم الخطب واشتد الكرب، وانعقد مجلس النظار مرارًا تحت رئاسة الخديو للمفاوضة، وبسط الجدل في هذا الطلب قلت: واتجهت أفكار السواد الأعظم من الناس إلى هذا الأمر، وبات كل يتوقع إما سقوط هيئة النظارة وفوز المراقب، وأما سقوطه وتغلب الرئيس على أعوانه وأنصاره، وكان أهل الدراية بالأمر يقولون: إن لم يبق على الرئيس إلا قطع هذه العقبة أيضًا فإن قطعها سالمًا فلا خوف عليه وإلا فليس لكسره من جابر، وكتب صاحب جريدة الأهرام في هذا الشأن يقول: قد لفظ

(١) النزاع.

العالم كثيراً في هذا الموضوع، ونشرت الجرائد عنه عبارات ولدها الظن / [١٠٣] والتخمين ثم توقف الجميع على الجزم بالأراء إلى صدور جواب الحكومة بعد التثام حضرات النظار الكرام، تحت رئاسة الجناب العالی فالآن نيسط لحضرات القراء ما وقفنا عليه من أحكام هذه المسألة: أى نعم إن حضرات النظار تداولوا في التثام الجمعة والسبت من الأسبوع القاتت تحت رئاسة سمو الخديوى في هذه المسألة، ولكن كان اعتبار المداولة مبدئاً^(١) إذ لم يعرض هذا الموضوع رسمياً على مجلس النظار، فإن الأوراق المتعلقة به ما زالت في أبواب الترجمة، ولم يسلم منه شيء لحضرات النظار الذين لا يتقدمون إلى الحكم في أمر إلا بعد درسه وتفحصه من جميع أبوابه ولكنهم قد كلفوا نظارة الأشغال أن تفحص مسألة التريعة بتمام الدقة ثم ترفع إلى هيئة المجلس ملاحظاتها وإفاداتها هذا ما علمناه من أحكام الالتام.

قال: وعلمنا من جهة أخرى أن حضرة المسيو دى لسبس، قد كلف المهندس المسيو بابونو، أن يرى في التسهيلات الابتدائية مما يتعلق بهذه التريعة، ووضع تحت إمرته المبلغ اللازم لذلك وقدره مايتان^(٢) ألف فرنك. ومن هذا/ الإجراء يستدل على أن المسيو المذكور يشتغل في مسألة، هو ثقة [١٠٤] من نوال حقوقه فيها، على حين نرى من تردد الحكومة ما يناقض ذلك: قال والخلاصة أن الخوض في هذه المسألة لا يتأق بفائدة عامة، فعلينا أن نترك لرجال حكومتنا حلها على الوجه الذى يكفل حفظ الصالح العام اهـ.

وقال أهل السياسة المحنكون: إن هذه المسألة لم تبلغ من الجساماة والأهمية إلى حد التباغض والتشاحن، بين رجلين كالرئيس والمرقب، غير أنه لما كان الرئيس لايميل إلا للتفرد بالأعمال، ويكره أن يرى يدا فوق

(٢) صحتها مانتا.

(١) صحتها مبدأ.

يده، أو يسمع كلمة فوق كلمته، ولم ينس ما تكبده من مزاحمة البارون دى رنج، عندما كان متولياً خطة القنصلية، التي لم يتخلص منها إلا بشق الأنفس فحذراً من تغلب المراقب عليه وإرغامه على عمل ما يكره أوصل هذه المسألة إلى ما أوصلها من العنت، وبالغ في مضارها، ودس إلى محرمى الجرائد أن بالغوا في الأمر وهولوا: وهكذا كان المراقب فإنه لما رأى [١٠٥] معاكسة الرئيس ومراوغته، وقد كان/ المراقب المذكور أوعد المسيو دى لسبس وعداً صادقاً بإنجاز مطلوبه، على حين كان يرى أن الرئيس لم يخرج عن قبضة يده لما له من الحقوق عليه، والحظوة لديه، لم يحجم عن المعاكسة هو أيضاً بل شدد وبالغ في التهديد حتى كان من أمرها ما مر بيانه، قلت واتفق أن عزم المراقب المذكور على السفر إلى بلاده كعادته في كل عام، فتولدت عن هذا العزم الظنون واتجهت إلى المرمى البعيد، فمن قائل إنه ذاهب وهو على عزم السعى في بلاده خلف الإضرار بالرئيس، ومن قائل إنه ذاهب للاستنجد برئيس جمهور الفرنسيين^(١) على إرغام الحكومة المصرية بقضاء حاجة المسيو دى لسبس، وهؤلاء هم أنصار المراقب من أبناء جلدته والناحون نحوهم.

أما أعوان الرئيس والمتزلفون إليه، فقد كانوا يببالغون في خيبة مسعى المراقب، ويجزمون بإحباط عمله، ويقولون: إنه ما قصد التغيب في بلاده إلا هرباً من الفضيحة والعار اللذين لحقاه بأسباب ضعضة سطوته وعدم قدرته على مباراة الرئيس، وغير ذلك من ضروب الحدس والتخمين حتى [١٠٦] ضل السامع عن سواء الطريق./ ولم يدر أى الروايتين يعيرها جانب التصديق.

وفي مساء الأحد السادس عشر منه، قام المسيو دى بليينار المذكور هو

(١) رئيس الجمهورية الفرنسية.

وزوجته من القاهرة إلى الاسكندرية قصد الذهاب إلى بلاده كما تقدم. وفي صباح الاثنين السابع عشر منه، قام إلى مدينة باريز قاعدة بلاد الفرنسيين، وسافر معه أيضًا المسيو دى لسييس صاحب التربة^(١) وابنته فكان سفر المراقب، والمسيو المذكور معًا باعثًا لإثارة القيل والقال وتوجيه سهام الظن إلى المرمى البعيد.

وفي الحادى والعشرين منه دخل ميناء الإسكندرية باخرة إنكليزية من نوع الفرقاطة، اسمها إبريس تحت إمرة الأميرال سيمور، وهى قادمة من مدينة كورفوا^(٢) ونابولى، فلدى دخولها أطلقت المدافع للتسليم على البلد فردت عليها قلاع المدينة السلام بأن أطلقت مدافعها أيضًا.

وفيه أيضًا وردت الأخبار إلى القاهرة، بأن ضابط مدينة الإسكندرية اكتشف على الذين ارتكبوا خطة أعمال النقود الزائفة، التى قد كان تكاثر وجودها/ وتداولها فى الإسكندرية والأرياف وتحقق للضابط المشار إليه بعد [١٠٧] التجسس الطويل، أن فى مدينة سويسرة^(٣) معملًا تضرب فيه تلك النقود، فقبض على وكلائه الذين بالإسكندرية، وأودعهم فى السجن بعد ما أقروا بما ارتكبوا، وقبض أيضًا على اثنين من التبعة الطليانية، وعلى أحد التبعة الإنكليزية، وعلى ستة من الأروام وعلى بعض نساء وعلى رجل فرنسوى حيث ظهر أنه يبيع تلك النقود.

وفيه أيضًا زار وزير سلطان بلاد الزنجييار الخديو فى سراى رأس التين بالإسكندرية، وقدم له جواب بخط السلطان مولاي السيد برغش وجملة هدايا فاخرة من محاصيل تلك البلاد: قيل والمقصود من هذا الجواب توثيق العلاقات الودية بين مصر والزنجييار كما كانت عليه قبلاً.

(٣) يقصد دولة سويسرا.

(١) يقصد قناة السويس.

(٢) يقصد جزيرة كورفوا.

وفي الخامس والعشرين منه كان الاحتفال في مدينة الإسكندرية بعيد مولد فيكتوريا ملكة الإنجليز^(١) فرفعت أعلام الحكومة، ورايات الدول الأجنبية، وأطلقت الدراعة الإنجليزية المسماة إبريس/ التي سبق ذكر خبر حضورها مدافعها، واقتبل أميرها سيمور زيارة المهنيين، وزار محافظ الإسكندرية نائب قنصل جنرال الإنجليز بلباسه الرسمي، فرد له الزيارة كذلك أيضاً، قلت وقد طالعت في بعض التقاويم الإنجليزية فرأيت أن هذه الملكة ولدت في الرابع والعشرين من شهر مايو سنة تسعة عشر^(٢) وثمانمائة وألف مسيحية، فتكون في هذا العام قد أتمت السنة الثانية والستين من العمر، وقد تولت الملك ولها من العمر ثمان عشرة سنة.

وفيه أيضاً شاع أن قد رفت من ضباط الجند الذين بمعسكر طره واحد وعشرون^(٣) ضابطاً، وكان سبب ذلك هو ما ظهر من تأمرهم، ضد عبدالعال بك أميرهم كما سبق البيان في حوادث ذلك الوقت: قيل وقد كان شكل لذلك مجلس لتفحص ما أتاه هؤلاء من الدسائس والفتن والإفساد، فكان لهذه الإشاعة دهشة وحيرة عند من ينظرون إلى عمل العصابة بعين القلى^(٤).

وفي الثلاثين منه أصدر الخديو أمراً بأن تربط عشور النخيل باعتبار قرشين ونصف، على كل نخلة في جميع جهات/ القطر المصري ما عدا جهات الواحات، وقسم حلفه التابع لمديرية أسوان، حيث يكون عشور النخيل فيها قرشاً ونصفاً على كل نخلة من جميع النخل الحامل للثمر، أو الطلع فيشمل ذلك الذكر منها والأنثى، ويدخل ضمن ذلك النخيل المغروسة في أراضي الأوقاف الخيرية، وأن لاتعفى من العشور إلا النخيل

(١) ملكة بريطانيا (١٨٣٧-١٩٠١) تم في عهدها الاحتلال البريطاني لمصر.

(٢) صحتها تسع عشرة. (٤) بعين البغض.

(٣) صحتها وعشرون.

المغروسة في حيشان وجناين بيوت السكن التي تدفع عليها عوائد الأملاك، وأن ربط جميع هذه العشور لا يكون إلا من بعد تعداد جميع النخيل التي بالقطر.

وفي غرة رجب شاعت الأخبار بمصر المحروسة، بأن قد استقر رأى رئيس جمهور الفرنسيين بتعيين المسيو بلتيار، المراقب بوظيفة مفتش مالية بلاد تونس الغرب، فكان لهذه الإشاعة الوقع الحسن عن الرئيس مصطفى رياض باشا، والساعين خلف إساءة المراقب المذكور، ولكن لم تلبث أن كذبتها بعض الجرائد، وأندرت أولئك الشامتين بقرب عودته إلى خطته بمصر، وأن لاشيء هناك يززعز قدمه، أو يضعضع نفوذه، وفي التاسع منه أقامت والدة الخديو مآدبة بسرأى رأس التين بالإسكندرية دعت إليها أعيان المدينة/وعلمهاها^(١) وبعض مشايخ الطرق وكثيرين غيرهم احتفالاً [١١٠] بعيد الخديو فكانت ليلة مشهودة.

وفيه وجدوا بمدينة الإسكندرية صنماً من الحجر المصرى القديم، عندما كانوا يحفرون بعض الأراضى الواقعة على مقربة من محطة سكة الحديد وبالإطلاع على ما هو مرسوم عليه من الأحرف والنقوش الهيروغليفية أى القبطية القديمة، ظهر أنه تمثال هود وهو حبر، أو كاهن طوث الأكبر، وشاع أن ستحفر الأرض التي وجد هذا التمثال فيها، رجاء أن يعثر على آثار أخرى، ثم صدرت أوامر الحكومة بنقل التمثال المذكور إلى دار المتحف ببولاق بمصر المحروسة # وفيه أيضاً اتفق أن امرأة من أهالى مصر المحروسة ذهبت إلى النيل للاغتسال فيه كعادة العامة، ومعها طفلها مضى على ولادته أشهر، فوضعت على ضفة النيل بالقرب من جسر قصر النيل، ونزلت للاغتسال ثم عادت لتأخذه فوجدت ثعباناً كبيراً ملتفاً عليه، وهو

(١) الصحيح علماءها.

واضع لسانه على شفقي الطفل يلعبها، فطار عقلها وطاش لبها وتمزق قلبها لهذا المنظر الهائل، ولكنها تقدمت إليه ببسالة وسرعة غريبتين، وقبضت على الثعبان ورمته به إلى الأرض، وضمت ولدها إلى صدرها، وهي تولول وإذا به سليم البنية لم يلحقه ضرر، فولت الأدبار وهي لاتكاد تصدق نجاته، وفيه أيضاً شاع أن الرئيس مصطفى رياض باشا على عزم الاستقالة من مسند الرئاسة رجاء التخلص من حباتل العاملين على إساءته، وكان الجند وكثير من الضباط يذيعون هذه الإشاعة ما بين السوق، وأهل الصنائع: قلت ولم يكن لهذه الإشاعة على المشهور من موجب سوى تخلف الرئيس بداره يومين لعله أصابته ولكن الضباط وزعماء العصابة، كانوا يكذبون ذلك ويتخذون تخلفه هذا ذريعة لدس الدسائس وإظهار ما لهم من السلطة والتفوذ، وفي مساء هذا اليوم أيضاً توجه إلى مدينة الإسكندرية الرئيس وجميع النظار ورجال الحكومة وأعيان مصر المحروسة وتجارها والقناصل والأمراء لتهنئة الخديو بعيد مولده كما هي العادة في كل عام.

وفي العاشر منه صباحاً انطلقت المدافع من قلاع الإسكندرية والمراكب الراسية بالمينا إيدانا بهذا العيد، فهرع/ المهنتون إلى مقر الخديو ووردت الأخبار بذلك إلى مصر المحروسة، فأطلقت المدافع من قلعة الجبل أيضاً في الأوقات الثلاثة وبعث عمد البلاد القبلية والبحرية برسائل التهانى إلى الخديو بالإسكندرية.

وفي الحادى عشر منه قدم قنصل قيصرية^(١) النمسا والمجر خطاباً إلى الخديو محرراً بقلم القيصر: قيل: إنه يحتوى على عبارات المودة ودلائل المحبة، ولم تصل إلينا معرفة ما حواه من العبارات خلاف ما ذكر.

وفي الثانى عشر منه روت بعض الجرائد المحلية ما وصل إليها. على

(١) نسبة إلى قيصر نى مير طور.

ماقالت من أخبار مدينة باريز تحت^(١) بلاد الفرنسيس مايفيد أن المسيو دى بليينار المراقب لقى من رجال حكومة الفرنسيس عند وصوله إكراماً عظيماً جداً، وأن المسيو برتلمى نيتهلار وزير الخارجية شكره شكرًا جميلاً على المنهج الذى اتخذه فى سياسته فى الديار المصرية: قالوا: وقال له إن ذلك مما يؤيد الصلات الودية بين بلاد فرنسا والإنجليز بما لها من المصالح المشتركة فى تلك الديار قالت: وكان الكثير بما لها من المصالح المشتركة فى تلك الديار قالت: وكان الكثير من نواب الفرنسيس يظهرن للمراقب المومى إليه أنهم مشاركون/ لوزير الخارجية فى آرائه وأمياله نحو المراقب، [١١٣] قالوا وقد تحقق المسيو دى بليينار أن الحكومة الإفرنسية فى شاعل عن توجيه أنظارها لمصر بما عندها من الاهتمام لإصلاح داخليتها فكان لهذه الرواية عند أنصار الرئيس أثر مؤلم جداً.

وفى الثالث عشر منه كثرت الإشاعة بأن قد وقع الخلاف بين أعضاء اللجنة العسكرية التى سبق الكلام عن تشكيلها فى حوادث ذلك الوقت وتناقل هذه الإشاعة أصحاب بعض الجرائد المحلية وأصبحت موضوع حديث الضباط فى محافلهم الليلية، وفى دار ندوتهم، ووضعوها من الأهمية فى قالب ارتجت منه القلوب، حتى تخيل للناس أن مابقى دون حل هذا الإشكال إلا تجريد السيوف، ولم تصل هذه الإشاعة إلى هذا الحد من المبالغة والتهويل إلا لكون هذا الخلاف كان وقوعه ما بين أحمد عرابى بك كبير العصاة، وبين أحد أعضاء اللجنة، وهو المسيو جولدميت على المشهور قلت: حدثنى من أعمده قال: لم يكن لهذه الحادثة فى مراتب الأهمية موضعاً وأنها ليست إلا مجادلة لا بد منها فى خلال المداولة/ بخصوص [١١٤] ترقية المراتب العسكرية، على أن أحمد عرابى بك قدم للجنة رأياً مؤداه أن

(١) أى عاصمة فرنسا.

يكون تعين^(١) هذه المراتب بالاعتبار لا بالأقدمية، وأن يعطى هذا الحق لقائد كل فرق ليوزعها على فرقته بمصادقة ديوان الجند: قال: فناقضه العضو الآخر مناقضة لم تخرج عن الموضوع، وقدم الأدلة والبراهين على تأييد دعاؤها، فعارضه أحمد عرابي بك وتجاوى في الرد عليه وزيف جولدسميت المذكور تزيفاً دعي^(٢) بعض الأعضاء إلى المداخلة وتسكين خاطر الفريقين فانحسم الخلاف بالتى، وأمسى وكأنه لم يكن اهـ.

وفي الخامس عشر منه كان ختان نجلى الخديو، وهما: الأمير عباس بك بكر أولاده، والأمير محمد على بك، وكان ذلك بسرأى رأس التين بمدينة الإسكندرية، قيل وكان يوماً مشهوداً وزعت فيه الجوائز، وقدمت الهدايا من العائلة الخديوية إلى الأميرين المذكورين، وصدر أمر الخديو بإطلاق ثلاثمائة مسجون من ليمان الإسكندرية من الذين بقى على مدتهم عام ولم يكونوا من القاتلين أو المتهمين بالقتل: قيل وكانت رحبة/ سرأى رأس التين غاصة بالمتفرجين على اختلاف أجناسهم. [١١٥]

وفيه أيضاً قدم من الحبشة إلى مصر المحروسة عن طريق مدينة السويس وقد مؤلف من اثنين وسبعين نفرأ، وقد كانوا خرجوا من تحت حكم الحبشة في العاشر من جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ يحملون خطابين من الملك يوحنا ملك ملوك الحبشة، أحدهما برسم الخديو والآخر لبترك طائفة الأقباط الامبا كيرولص الثالث مؤرخين في الثامن والعشرين من برمهاة القبطى سنة ١٥٩٧، الموافق خمسة جمادى الأولى سنة ١٢٩٨ ومنهم واحد وستون من الخدم والحشم والأتباع. قيل: ولم يذكر في خطاب الملك إلا أسماء خمسة سفراء أربعة منهم قسوس، وواحد وزير، وهو موظف بوظيفة وكيل مطران كنيستهم هناك، وستة من الموظفين، ونزلوا جميعاً بدار

(٢) صحتها دعا.

(١) يقصد تعين.

بطريقة الأقباط بمصر المحروسة، وبعد أن لبثوا أياماً قدموا لكيرولص البطرك المشار إليه الهدايا التي بعث بها ملكهم وهي تاج من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة مستدير الشكل يبلغ ارتفاعه نحو الاثنتين وثلاثين سنتي وثلاثة صلبان من الفضة البيضاء وآخر من الذهب الخالص وألبسوا/ [١١٦٦] البطرك التاج المرسوم في أبهة وزينة عظيمتين وهنأه الوفد وجميع معتبري الطائفة القبطية.

وفي السادس عشر منه اقتبل الرئيس مصطفى رياض زيارة سبعة من الوفد المذكور، ومعهم ترجمانهم، ووكيل دار البطريقية، ولم يقع بينهم من المحادثة السياسية ما كان يظن وقوعه لاسيما وقد كان اتيان هذا الوفد على حين كانت الحكومة في حاجة زائدة لحضوره منعاً لتهديد الجيوش الحبشية حدود الديار المصرية التي على سواحل البحر الأحمر^(١).

وفي الثاني والعشرين منه وردت الأخبار إلى مصر المحروسة، تفيد أن الملك كلاكوا الأول ملك جزاير هواي: وهي في الإقيانوس الباسيفيكي واقعة بين شطوط اليابان^(٢) وأمريكا، وعددها خمسة عشرة^(٣) جزيرة خمس منها أهلة بالسكان: سيصل إلى مدينة بورسعيد ويقيم مدة في القطر المصري ثم يتوجه للسياحة بالديار الأفريقية وأمريكا وأن في عزمه أن يدور حول الكرة الأرضية قبل العودة إلى بلاده: قيل: وقصده من هذه السياحة تحصيل ما يمكنه من تحسين حال بلاده، وترفعها إلى مراتب التمدن. فأصدر الخديو أمره إلى محافظ/ مدينة السويس بأن يتلقى هذا [١١٧٧] الملك بما يليق من الإكرام والترحاب.

(١) معلوم أن مصر قبل ذلك بسنوات قليلة كانت قد خاضت مع الحبشة حرباً استمرت لنحو عامين، ١٨٧٥-١٨٧٦ انتهت بعقد الصلح مع الملك يوحنا، واحتفظت مصر بأملاتها القريبة منها (مصوع وهر).

(٢) اليابان.

(٣) صحتها خمس عشرة.

وفي الرابع والعشرين منه في نحو الساعة السادسة نهاراً وصل الملك المشار إليه إلى القاهرة آتياً، عن طريق مدينة السويس واستقبل بما لاق به وأنزل مع حاشيته وبطانته في قصر النهضة بضواحي مصر المحروسة.

وفيه أيضاً وردت الأخبار من مديرية إسنا بصعيد مصر تفيد أنه في صباح الخميس الماضي حدث فيها زلزال خفيف أعقبه اشتداد الحرارة وهبوب ريح شديد جداً بقيت إلى المساء فانزعج أهل البلد انزعاجاً عظيماً ولكن لم يصبهم أدنى ضرر.

وفي الخامس والعشرين منه نشرت جريدة الوقائع المصرية أمراً صادراً من الخديوى في الرابع من الشهر يتعلق برسم التمغة على المصوغات الفضية، والاوزان والمقاييس وجملة ما فيه، أنه يؤخذ على الأشياء التي عيارها تسعون في المائة ثمان بارات عن كل درهم وعلى التي عيارها ثمانون في المائة سبع بارات، ويؤخذ على /تمغة الوزنة التي لا تتجاوز نصف الرطل عشر بارات، وعلى التي زنتها أقة واحدة إلى عشرة أرتال عشرون بارة وكل وزنة زادت عن عشرة أرتال يؤخذ عليها عن كل رطل خمس بارات، ويؤخذ على تمغ حجم تجاوز القدح عشر بارات، وعلى تمغ كل مقياس مهما كان طوله عشرون بارة، وفيه أيضاً رجع المسيو دى بلنيار المراقب الفرنسي إلى الإسكندرية، وفي حال وصوله توجه إلى سراى رأس التين فلقية الخديو هناك قيل: وحادثه ساعة وبعد ذلك انصرف ونزل بالنزل المعروف بنزل أسات بالإسكندرية: وفي ظهر هذا اليوم تناول الطعام عند المسيو سناديتو، أحد أعيان الإفرنج، فكان الخبر وصوله دهشة عند أعوان الرئيس وأنصاره، وباتوا وهم يقلبون صفحات الحدس والتخمين بما سيكون من نتائج عودته بعد أن كانت لا تخطر لأحد على بال.

وفي مساء السابع والعشرين منه احتفل الخديو في سراى رأس التين بالإسكندرية بليلة بالو^(١) أى ليلة يرقص فيها المدعون من نساء ورجال / على عادة الإفرنج: فحضر فيها الملك كلاكوا والوفد الحبشى، [١١٩] حيث كان توجه إلى الإسكندرية. وأنزل في دار هناك ملاصقة لسراى رأس التين، وكان في تلك الليلة أيضاً كثير من الأعيان ورجال الحكومة، الذين قدموا من القاهرة والأرياف: قيل: وكانت ليلة مشهودة زينت فيها السراى والرحبة التى أمامها بكثير من الشموع. وعملت الحرائق والألعاب النارية بحراً وبراً.

وفي الثامن والعشرين منه دعا الرئيس مصطفى رياض باشا المسيو دى بلنيار المراقب. وكاتب سره المسيو دى رول إلى تناول غداء الظهر عنده قلبا^(٢) دعوته، وكان ذلك غاية التعجب عند من يعرفون ما بين الرئيس والمراقب من الحزازات، وما فى قلب كل منها من الضغائن، ولكنهم مع ذلك ألبسا هذه المأدبة ثوب المواربة التى لا بد لرجال السياسة من استعمالها فى مثل هذه الأحوال، وفيه أيضاً سافر الملك كلاكوا ملك جزائر هواى، فأطلقت المدافع إيذاناً بوداعه. وتوجه إلى / إيطاليا ومعه وزيره المسمى [١٢٠] أرمسترونج، وآخر يسمى الكولونيل جود، ولعله من رجال الحرب. ومن غرائب الاتفاق أن ظهر فى هذا الشهر نجم من ذوات الأذنان، وكان يرى فى كل ليلة بشكل واضح، حتى لضعيف البصر فهال الناس ظهوره، وتشاءموا لرؤيته، وأخذوا يتأولون ظهوره إلى تأويل ورموز شتى، ويستدلون منه على أن هذه السنة أى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف لاتتم دون وقوع أمور عظيمة وحوادث مدهمة، وحروب هائلة، بل نسبوا إليه جميع الوقائع والحوادث، التى مر بيانها فى هذه السنة، ولم يقتصر على

(٢) الصحيح قلبا.

(١) بالو بمعنى حفل بالإيطالية.

ما وقع منها بديار مصر فقط بل تطاولوا إلى حوادث ديار الإفرنج مثل زلازل كازابنشولا، وجزيرة صاقز، ومقتل قيصر الروس^(١) وغير ذلك من الحوادث الأخرى، التي لا يحل لذكرها هنا: ولذلك تحدث أصحاب بعض الجرائد في شأن هذا النجم، وكيفية ظهوره، وقال بعض أصحاب الجرائد الإفرنجية: إنه يظن أن هذا النجم ليس إلا ذات النجم الذى/ نشر عنه [١٢١] العلم الفلكى المسمى بيل، وقال: إنه ظهر فى سنة ست وسبعمئة وألف ميلادية وشاهده فى سنة سبع وثمانمئة وألف ثانية، واستدل أنه سيعود بعد أربع وسبعين سنة من هذا التاريخ، قالت: وقد ولد المنجم المذكور فى مدينة مندن من أعمال البروسيا، سنة ثمان وأربعين وثمانمئة وألف وأخذ علم الفلك عن أوليرس ودعى أستاذاً لمدرسة كينجسبرغ سنة ١٨١٠، وأقام فيها مرصداً يشهد له بالفضل، وله عدة اكتشافات فلكية، قلت وذكرت جريدة ليجبت الرسمية الإفرنجية نقلاً عن جريدة، اسمها باريز ما لا بأس بإيراده هنا تتميماً للفائدة، قالت: إن أحد المنجمين الأقدمين تنبأ بأن العالم ينقرض نهائياً فى الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة اثنتين وثمانين وثمانمئة وألف ميلادية، يعنى فى الثانى من محرم الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين وألف قالت: وتستم الأهوال من هذا التاريخ إلى الثامن من شهر ديسمبر، يعنى السابع عشر / من محرم أى مدة خمسة عشر يوماً، [١٢٢] يأتى كل يوم منها بمصيبة عظيمة، وإن النوع البشرى لا يد أن ينقرض فى اليوم السادس من ديسمبر، الذى هو يوم عيد القديس نيقولاس المشهور بالعجائبي، بعد أن يشاهد كثيراً من هذه النوازل الطامة، التى من جعلتها تلاشى الأسماك، واضمحلالها فى اليوم السادس والعشرين من نوفمبر، يعنى فى الرابع من محرم الحرام وإن الدينونة الأخيرة أى يوم البعث

(١) يقصد القصر إسكندر الثانى وسوف يأتى ذكر مقتله بالتفصيل فيها بعد، وقد اغتبل فى

والنشور، يكون في ثامن ديسمبر، وإن هذه الدينونة لاستغرق إلا هذا اليوم. قال المتنبي المذكور، ثم يعود بعدها كل إلى وظائفه العادية .هـ.

قلت: ومع ضعف إسناد هذا النبأ، ويُبْعَدُه عن الصحة، فإن إirاده في بعض الجرائد كان داعياً لزيادة اضطراب العامة، وبليلة أفكارهم، بل شوش أيضاً أفكار أصحاب بعض العقول السليمة وكاد أن يذهب بما تعلموه من أحوال تلك الأجرام أدراج الرياح، وكان الكثير من أهالي مصر المحروسة يحميون الليالي الطوال، وهم يرصدون ذلك النجم فوق/ أسطحة [١٢٣] الدور والمسكن مولولين وتادمين على سوء حظ هذه البلاد وأهلها، كأنهم يطلعون على ما سطر في أم الكتاب: ولم تكن هذه الولولة وذلك الندم من سكان مصر المحروسة فقط، بل ومن كافة أهالي الثغور والبنادر فضلاً عن القرى: فكتب مكاتب جريدة المحروسة بمدينة المنصورة إلى صاحبها بالإسكندرية يقول في هذا الشأن: ما أكثر الخرافات والمخرفين عندنا فلا تمضى ساعة لانسمع من الناس من يقول: أن قد دنت الساعة وبعد شهرين تقوم القيامة، ومنهم من ترك شغله وأخذ يتأهب للرحيل إلى دار الخلود، ومن اقتصر على الصلاة في المسجد لا يباشر غيرها عملاً، ومنهم من باع حلى امرأته ليشتري بثمنه مدفناً، قال وأعجب من ذلك كله أن البنائين في المدافن تركوا الشغل استعداداً منهم لقرب دنو الأجل وبعض الناس يطبلون في منازلهم ضارين ناقرين بعض أوان نحاسية صارخين يا لطيف، وإذا سأهم إنسان عن ذلك قالوا الناس تتحدث به، وهذا نجم الذنب ظاهر للعيان، وفوق ذلك فإن/ بعض الجرائد قد روت الخبر وأوعزت بقرب [١٢٤] الساعة، وانقراض العالم قبل حلول العام الجديد، قال قلله من الجهل وآفاته قوم مخرفون التوى عليهم معنى ما جاء في الجرائد، واعتقدوا صحه التخريف، فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .هـ.

وفي التاسع والعشرين منه كان عيد جلوس الخديو فعملت تشريفه هذ

العيد بسرأى رأس التين بمدينة الإسكندرية، فعند شروق شمس هذا اليوم أطلقت المدافع من القلاع والسفن الراسية بالمينا، وزينت جميع تلك السفن بالليبارق والأعلام. وفي أول الساعة الثانية عشرة من صباح هذا اليوم، وفد الجند بزينتهم وسلاحهم على رحبة السراى واصطفوا تجاه مقر الخديو، وهم يضربون أبواقهم وطبولهم، ولما أقبل الخديو قادماً من مجلسه دخل مقره، وجلس فى غرفة هناك قريبة من تلك الرحبة، وفى أثناء الساعة الثالثة وفدت جموع المهنيين، فكان أول من دخل على الخديو فى مقره الشيخ العباسى شيخ الجامع الأزهر، ومفتى ديار مصر، وقاضى مصر المحروسة، وقاضى الإسكندرية، وكثير من العلماء والمتعممين الأشراف ثم دخل الأمراء من عائلة محمد على باشا الكبير، ثم النظار يقدمهم^(١) الرئيس ثم رجال الحكومة، وأرباب الرتب، ثم غيرهم ممن جرت العادة بدخولهم فى مثل هذه الاحتفالات قلت: وفى هذا اليوم وردت الأخبار إلى مصر المحروسة من البنادر والثغور تشير إلى ما وقع فيها من الاحتفال بهذا العيد، وتراكت قصائد التهانى على ديوان الخديو الخاص وامتدحه الشيخ محمد البسيونى خوجة أنجاله^(٢) بهذه القصيدة.

مباسم ثغر التهانى بواسم	فأيامها أعيادنا والمواسم
سرور وأفراح وبشر وبهجة	وراح وأقداح وصفو مداوم
تهانى بتوفيق العزيز سموها	ها من سمير المكرمات منادم
وناهيك شمس العز فى ظل حضرة	خدوية تعنوا إليها الضراغم
ملك على عرش الكمال قد استوى	بمصر فأضحى روضها وهو باسم
فهانك أوقات الصفا بجلوسه	بأعلى سرير الملك والسعد خادم
تحبى مواسم كل عام تشكراً	إلى الله ماتشدو يروض حمائم

(٢) معلم أنجاله.

(١) يقصد بتقديمهم.

فأحياؤها فرض لمصر لندرك تداركها مما به الله عالم
 فأطلق منها الوجه والوجه عابس/ وخضر منها العيش والعيش قائم [١٢٦]
 وروثق منها ما يروك منظرًا وجدد منها ما يحاه التقادم
 وشيد سنى العدل من بعد ما وهى وزلزل منه السور والدعائم
 وأعلى منار الدين والزهد والتقوى وما لرضا الله فيه معالم
 ولم يرض إلا منهج الشرع منهجًا فما حكمه إلا بما الله حاكم
 بماضى أحكام لا يضارع أمره وعامل رفع وهو لاشك جازم
 وخلق يحاكيه النسيم إذا سرى على زهر روض باكرته الغمام
 وكم أنعشنا من تهانيه فرصة وكم شملتنا من جداه المكارم
 فلازال فى أوج الكمالات راقياً وأنجاله العز الكرام الأكارم
 ولازلت يأسعد السعود مؤرخا بجلسة توفيق يدوم مواسم

وقد وقع فى هذا العام أيضاً من تطواف أرباب الطرق والمشايخ والمتعممين
 وأصحاب العكاكيز ببيارتهم، وطبولهم ما وقع فى عيد جلوس سنة سبع وتسعين
 ومائتين وألف فلم يتركوا زقاً ولا شارعاً إلا وطافوه وهم على هذا الحال حتى
 قريب الظهر ثم انصرفوا وتفرق جمعهم.

وقد استهل شهر شعبان من هذه السنة واللفظ يزداد/ بين الجند وأهل البلاد [١٢٧]
 على اختلاف درجاتهم، وهم على يقين من وشك انصرام حزمة النظار وهبوط
 عرشهم، وسقوط الرئيس مصطفى رياض سقوطاً لا جبر لكسره، ومعاً^(١) كانت
 تذيعة الجرائد المحلية من أسباب الأمن والطمأنينة، واتحاد كلمة النظار،
 ورسوخ قدم الرئيس فى منصبه، وعدم حدوث ما يكدر صفو الراحة
 العمومية، وإدارة الأشغال على محور الاستقامة، وأكمل النظام، وسكون
 خواطر الجند، وملازمة ضباطهم حدود الاعتدال والسكينة، فإن سكان

(١) الصحيح مع ما.

مصر المحروسة كانوا في خوف وقزع عظيمين، وهم مندرون بوقوع ما
 لآحمد عواقبه، وكان هذا اللغظ ينتشر بين أهل البنادر والثغور انتشاراً
 سريعاً جداً، ولم تكن لتوقفه قط أسباب الاحتياط التي قد تحتم على
 مديري البلاد وأمورها اتخاذها في هذا الحين، ولم يكن هذا اللغظ ناشئاً
 فقط عن رؤية ذى الذنب في أفق البلاد، وتشاؤم أهلها من ظهوره كما كان
 يظن بل هو في الحقيقة ونفس الأمر ناشيء من سعى الجند بين الأهالي،/في [١٢٨]

نشر مقاصد زعمائهم، التي قد وطنوا أنفسهم على تنفيذها في يوم ما،
 وكانوا يلقونها بين الناس بصور وأشكال مختلفة على قدر عقول العامة،
 وهؤلاء كانوا يخلطونها بالأكاذيب والتخريف، ويمزجونها بالمنامات والأحلام
 وفعل الأجرام السماوية، ويطبقونها على ما يستعملونه من نطق التخوت
 الرملية، وخواتم الزايرجات ورموز الودع وهوس أرباب الشعوذة
 ويذيعونها بين أمثالهم حسب تفاوت أهوائهم، وتباين مشاربهم، غير مباليين
 بما ينجم عن ذلك من المضار، وما يترتب عليه من كساد تجارة البلاد،
 وتعطيل صنائعها مع ما هي فيه من البوار، ووقوع الرعب في قلوب
 أصحاب الأموال، الذين يقصدون البلاد بأموالهم للتجار في محاصيلها،
 وهكذا كان دأب أولئك القوم حتى عم الخوف البلاد، وتزايد اضطراب
 أهلها وتشاؤمهم إلى أن كانت النتيجة ما سيأتي ذكره في محله إن شاء الله.

وفي الثاني منه عاد إلى القاهرة الوفد الحبشى، بعد أن لبث في مدينة
 الإسكندرية أياماً وقبل /عودته زار الخديو في مقره، وكان يرافقه كيرولص [١٢٩]

بطرك الطائفة القبطية، فأنعم عليه الخديو بالنشان المجيدى من الرتبة
 المعروفة بفران أوفسيه، وعلى أسقف القاهرة بنشان من رتبة أوفسيه، وعلى
 كاتب سر البطرك المشار إليه بنشان أيضاً من رتبة شفالیه، وعلى كل من
 رجال الوفد المذكور بسلسلة وساعة من الذهب قلت وهذه أول مرة
 أهديت فيها بطارقة هذه الطائفة وأساقفتها نياشين الاعتبار من قبل

الحكومة منذ دخل مصر عمرو بن العاص إلى عهد الخديو توفيق الخالي. فعدت له من المزايا التي لم يسبقه إليها أحد ممن تولى ملك هذه البلاد.

وفي الخامس منه ورد خبر إلى القاهرة من مدينة بلبس إحدى مدن الشرقية يفيد أن امرأة هناك متزوجة بأحد الجند ولدت ذكرين اثنين وثلاث بنات، وأنها مع أولادها الخمسة في صحة / تامة، فكان لظهور هذا الخبر وقع [١٣٠] عجيب خصوصاً عند من كانوا يتطيرون من ظهور ذى الذنب ويتدربون وقوع ما لم يسبق له وقوع في الأجيال الغابرة.

وصل لعلم القارئ ما كان من موت السلطان عبد العزيز في اليوم - من شهر - سنة أربع وتسعين ومائتين وألف هجرية* وما كان من إقامة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد على تخت السلطنة العثمانية^(١)، وما كان من تنزيل السلطان مراد المومى إليه عن التخت بعد وسمه بالجنون، وضعف العزيمة، وما وقع أيضاً عند تولية أخيه لأبيه السلطان عبد الحميد في اليوم - من شهر - سنة أربعة وتسعين ومائتين وألف^(٢)، لكن لما كان لموت السلطان عبد العزيز أسباب ودواع استترت عن الناس تحت أستار الكتمان، والمواربات السياسية حيناً من الدهر، ثم ظهر في هذا الوقت سرها والباعث إليها وأصبحت موضوعاً للبحث والتنقيب وطالت فيها المناظرات، وترامت فيها التهم والشبهات وانبتت من أجلها العيون والجواسيس، تنقل من تفاصيلها ما لا يسعنا / إلا إجماله في هذا الكتاب [١٣١]

* واضح أنه لدى وضعه للكتاب لم يكن متحققاً من التاريخ الصحيح ولذا ترك فراغات حتى يتم هذا التحقق والتاريخ الصحيح لتولية مراد ٧ جمادى الأولى ١٢٩٣ (١٨٧٦ م).
(١) عاصمة الدولة العثمانية.

** نفس الفراغات مرة أخرى، والتاريخ الصحيح لتولية عبد الحميد الثاني ١١ شعبان ١٢٩٣ (١٨٧٦ م).

(٢) صحتها سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

سبها وأن تاريخ قتل السلطان المذكور كان قبل السنة التي بدىء فيها هذا المختصر، والمدة التي تتبعها: على أن الخطة التي لازمها لا تسمح إلا بالتعرض لحوادث الوطن: إلا ما كان من باب الاستطراد والإشارة لمناسبة كمقابلة الخديو إسماعيل لغالبياردى^(١) زعيم الحرية في بلاد إيطاليا، أو للموعظة والتذكير كمقتل القيصر إسكندر الثاني قيصر الروس، فإن قال قائل: وهل في رواية مقتل السلطان عبد العزيز شيء من هذين النوعين. قلت. نعم، ولقد جمعت بينها بل إنها ستطلعك على ضروب شتى من دهاء رجال السياسة، وأعمالهم لم تخطر لك على بال فضلاً عن أنها ستكون لديك ميزاناً، تزن به خفيف المكائد وثقلها، ومثلاً تضربه عندما تتلى على مسامعك حوادث سنة تسع وتسعين ومائتين وألف، وما وقع فيها من أخبار الحرب بين أحمد عرابي زعيم العصاة ودولة الإنكليز الحاكمة على خير الشرق وشره، وشقائه ونعيمه، ويسره / وعسره، وعمارته ودماره، [١٣٢] وهى هى المطاعة فى كلما^(٢) أشارت، وصاحبة الفوز أينما سارت، والغار أينما غارت، فلهه هى والله دينارها الذى طالما عرك الأنفوف^(٣) ودق الأعناق ولق العيون^(٤) ونسف الحصون، وكم به سيوف ومضت، ورماح شرعت، وأحزاب تجمعت، وأملاك سلبت، وممالك خربت، وملوك عزلت فهى أحرص الحكومات على ما فيه مصلحتها، وأشدّها تيقظاً لما فيه توطيد دعائم عزتها، وهى التى تقهر الملوك برجالهم لا رجالها، وتسلب عروشهم بأبطالهم لا بأبطالها، اللهم بدرهمها ودينارها، يدلك على ذلك ما ورد فى كثير من التواريخ القديمة والحديثة، عن أعمالها مع الكثير من ملوك

(١) يوسف غاريلدى داعية الوحدة الإيطالية المشهور (١٨٠٧ - ١٨٨٢).

(٢) يقصد كل ما.

(٣) الصحيح الأنوف.

(٤) تعنى ضرب العيون بالأيدى.

المشرق والمغرب، بل وفي القارات المتوحشة كقارة أفريقيا وسحارها^(١) وهكذا ما برحت تختلس الشهرة اختلاصاً، وتقتبس السيط^(٢) اقتباساً، وتستزيد ذاتها بنقص الغير، وتنسج خيراها بنقص الخير حتى يتم لها ما تم لغيرها من جيرانها، والذين نحووا هذا النحو من قبلها فلذلك رمتها / أكثر [١٣٣] الجرائد التركية، والروسية بالخيانة، ووسمتها بالخداع واتهمتها بأنها هي التي عملت على قتل السلطان عبد العزيز بأن ساعدت قومه، وجرأتهم على الإقدام على هذا الفعل الشنيع، وضمنت لهم الخلاص من تبعته، عندما رأت من تزلف قيصر روسيا إليه، وتزلفه هو أيضاً للقيصر ما أدهشها وأربكها، وكاد أن يذهب بنفوذها في أواسط آسيا الصغرى، وسلطانها في أملاكها الهندية أدراج الرياح، يدل على ذلك ما قالته بعض الجرائد التي كانت تنتصر لسياسة هذه الدولة في دار السلطنة العثمانية، من أنه قد استكشف بعد موت السلطان عبد العزيز على معاهدات سرية، كان عقدها السلطان مع سفير القيصر قصد كبح جماح مطامع دولة الإنكليز المنسوبة أظفارها في داخلية بلاد الدولة ورد جماح سياستها، والتخلص من حبالها: قالت: وهذه كانت من بعض الأسباب التي حملت دولة الإنكليز على الاشتراك في ذلك العمل الذميم، وكان بعيد ذلك أن الروس / أثارت [١٣٤] الحرب على بلاد الدولة بعد قتل السلطان عبد العزيز، وزحفت عليها بخيلها ورجلها فمزقت الكثير من ولاياتها، وأخرجتها من قبضة يدها تشفياً وانتقاماً، فاستغاثت وليس لها من مغيث، واستنجدت فلم تجد من ينجدها، حتى احتلت جيوش الروس ضواحي الآستانة، وعسكرت بأفنيته، وما بقى إلا إطلاق القناير على دار السلطنة واحتلالها إن طوعا وإن كرها، كل هذا ودولة الإنكليز تعد الدولة العثمانية بالمواعيد المزوقة.

(١) يقصد صحارها.

(٢) يقصد الصيت.

وتراوغها بزخرف القول، وتعللها بالأمانى الطويلة العريضة، وتسمعها جعجة من غير طحن حتى تسنى للروس محاصرة الآستانة وضواحيها، وكاد أن يضيق عليها الخناق لولا ما وقع بين السلطان عبد الحميد وبين أغتاتيف سفير قيصر الروس من المهادنة وعقد شروط بين الدولتين سميت بمعاهدة .. أيا اسطافانوس^(١) قلت: فلما قرع دوى هذه المعاهدة أذان الإنكليز هاجوا وماجوا ونقموا على حكومتهم، ورموها بسوء الإدارة، ووهن القوة واندفعت جرائدهم/ على اختلاف مشاربها تنادى بالحرب العوان، وتقيح مسالك القابضين على زمام الأمور وتحض الشعب الإنكليزى على معارضة رجال السياسة، وإرغامهم على التعرض لتلك المعاهدة، وفسخ شروطها بما تصل إليه طاقتهم وتمكنت الحدة من قلوب الشعب فطاقوا، وهم يضحجون بشوارع لندن عاصمة بلادهم، وينادون بالويل والثبور على غلاستون^(٢)، كبير حزب الأحرار حيث مانع الحكومة من التداخل فى الأمر، ومن نجدة الدولة العثمانية، عندما ضاق عليها الخناق، وتناولوا إلى رجم داره بالأحجار وسبه، وتوعده بالقتل وإراقة دمه أينما عثروا عليه. فلم تر الحكومة العاملة يومئذ وهى حكومة المحافظين بدءاً من إحاطة داره بالجند، ورجال الشرطة لتفريق تلك الجموع، وقطع دابر هاته الفتنة، بالتي، ثم بادرت بأن بعثت أسطولها الحربى إلى بغاز الدردنيل، فألقى مرساه تحت دار الخلافة، وفتحت باب المخابرات بينها وبين دولة الروس، والسلطان عبد الحميد، واندفع سفيرها فى دار/ السلطنة إذ ذاك وهو السير أليوت يعمل على حل عقدة تلك المعاهدة، وفسخ شروطها، واستعمل من الدهاء والحيل ما أعجز الروس عن أن يجنوا ثمرة

(١) معاهدة سان ستافانو.

(٢) وليام إيوارت جلاستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) زعيم حزب الأحرار ورئيس وزراء بريطانيا ثلاث مرات (١٨٦٨ - ١٨٧٤)، (١٨٨٠ - ١٨٨٥)، (١٨٩٢ - ١٨٩٤).

أتعابهم، أو أن يدوقوا لذة ظفرهم وأصبحوا وهم تائهون في لجج المخابرات والمناقشات والاستشارات، حتى أعيتهم الحيل وأثقلهم نفقات الجند المحاصرون^(١) لدار السلطنة، بل وقعوا في الحبال إذ عرفوا أن السلطان عمد إلى محالفة الإنكليز سرّاً على استمرار الحرب مع الروس حتى يتسنى إخراجهم من بلاد الدولة.

ولم يكن هذا التحالف بالأمر الخفى، فإنه بينما كانت المخابرات قائمة بين الدول كافة على ساق وقدم بخصوص فسخ شروط معاهدة إيا اسطفانوس كانت الإنكليز تجيش الجيوش من أملاكها الهندية، وتأتى بهم ألوفاً ألوفاً إلى جزيرة قبرص إحدى جزر الدولة العثمانية، وتقدم بالمعدات وآلات الحرب، وتسرع في تجهيزهم، وكانت جرائدهم على كثرتها تتسارع في نقل هذه الأخبار، وتلأ صفحاتها من الغلو والمبالغة والتهويل، حتى كان يتخيل للمطلع عليها/ أن قد قامت الساعة، ونصب الميزان ومد [١٣٧] الصراط ومع هذا كله فقد كانت بعض الدول تقدم على معاونة الإنكليز تارة وتحجم أخرى، وطورا تبارها في عملها، وآونة تلازم الحيادة والانكماش وهى في ذلك لم يفتّر همتها فتور ولا ملل ولا تراخ ولا كسل، بل تثبتت في هذا الموقف، ولازمت الدفاع ملازمة المجتهدين، حتى تسنى لها ضم الدول العظمى إلى جانبها ولم تلبث أن سقتهم نفس الكأس التى شربتها، فحينذاك اتحدوا جميعاً على المبدأ والختام، وقاموا يطالبون الروس بعقد مؤتمر دولى جديد بمدينة برلين عاصمة بلاد الألمان، يكون لكل منهم فيه نائب أو نائبان يباحثون في شروط معاهدة إيا اسطفانوس، فلم يسع دولة الروس يومئذ إلا الإذعان والقبول رغماً عن انتصارها، وإحاطة جندها بدار الخلافة إحاطة السوار بالمعصم، وقد كان ما كان من إلغاء تلك

(١) صحتها المحاصرين.

المعاهدة، وفسخ الكثير من شروطها، واستبدلت بأخرى سميت بمعاهدة برلين الدولية، وكان من أهم شروطها انجلاء^(١) جند الروس عن ضواحي دار السلطنة، / وانسحابهم بعد أيام معدودة، وأجل مسمى، وخروج الكثير من ولايات الدولة العثمانية عن تبعيتها، فبعضها استقلت تحكم نفسها بنفسها، وبعضها انضمت إلى رعاية بعض الدول، كدولة النمسا واليونان فضلاً عن تخريب بعض حصون وقلاع الدولة الواقعة بين أملاكها وأملاك الروس.

أما دولة الإنكليز عافاها الله، فإنها لم تكتف من هذه الغنيمة بالإياب، بل عاد سفيرها ومعه أحد مفاتيح البحر المتوسط، وهو جزيرة قبرص التي قد كانت اتخذتها مقراً لجيوشها الهندية، ومعسكراً تحشدهم فيه للإرهاب والتخويف كما مر بيان ذلك.

فعادت الدولة يعيد*.

والمسجد الحسيني لتقييم لوازمها به، ثم ألبس الشيخ محمد السنياطي المشهور بالدعوجي: / خلعة الفرو والسمور، لمحمد بك حمدي مأمور الكسوة وفي الساعة الثالثة أطلقت المدافع من قلعة الجبل، فسار المحمل بالكسوة، وحوله الجند وأرباب الأشراف إلى أن وصل إلى المسجد الحسيني وفيه أيضاً ورد خبر من ديوان الخديو الخاص بمدينة الإسكندرية إلى الرئيس مصطفى رياض باشا ونصه.

بمشيئة الله تعالى تشريف ولى نعم الجناب العالى الخديو إلى المحروسة، سيكون في يوم الخميس الآتى حادى عشر شوال سنة ١٢٩٧ والقيام من

(١) بمعنى جلاء.

* فراغ في أصل المخطوط يدل على أن الناسخ قد تركه لينقل عبارات من أصل المخطوط إلا أنه لم يفعل لسبب غير واضح.

محطة الإسكندرية سيكون الساعة الثانية عشرة صباحًا، والوصول إلى مصر يكون بعون الباري الساعة أربعة^(١) من النهار، وسيشرف ولى النعم من المحطة إلى سراى الإسماعيلية.. قال.. أما رسوم المقابلة، فستكون إن شاء الله تعالى بسراى عابدين، الساعة ثمانية^(٢) من النهار، وبناء عليه لزم ترقيمه لدولتكم للإحاطة بما ذكر اتباعًا لما تعلقت به الإرادة السنية، وفيه أيضًا اتخذ رؤساء ديوان المالية مأدبة للرئيس مصطفى رياض باشا بالنزل المعروف باللوقاندة الجديدة / حضر فيها نحو أربعة^(٣) وسبعون نفسًا منهم [١٤٠] سائر النظار والمراقبان الإنكليزى والفرنسوى، وقوميسارية صندوق الدين العمومى، ووكلاء الداخلية، والمالية والجهادية، والمعارف وفى أثناء الطعام قام روجر بك من مأمورى ديوان المالية، وألقى مقالة باللغة العربية، وأخرى بلغة الفرنسيسى، وبعد هنيهة قام عريان بك تادرس باشكاتب المالية، وتلا مقالة تناسب المقام، ثم قام بوريلى بك محامى الديوان المذكور، وألقى مقالة أيضًا بلغة الفرنسيسى، ثم عقب هذه المقالات، نزلت حمامة حية من عرش المكان على الرئيس مصطفى رياض باشا، وفى منقارها ورقة مكتوب فيها بعض كلمات، تفيد التهاني ببلوغ الأمانى، ثم صعدت من حيث أتت، وقد كان دبر كيفية إنزال هذه الحمامة صاحب النزل، حيث ربطها بخيط من السلك، وأنزلها كما ينزل المصباح المعلق، ثم رفعها بعد أن بلغت رسالتها، وكأنه كان يعدها من محسنات صنعته وتأنقه فى تلك الليلة، وبعد صعود تلك الحمامة قام الرئيس وألقى مقالة طنطن بذكرها الكثير من أصحاب الجرائد العربية وهى:

إننى عاجز عن أداء الشكر / لما تفضلتم به من إظهار المسرة التى بعثت [١٤١]

(١) صحتها الرابعة.

(٢) صحتها الثامنة.

(٣) صحتها أربع.

هذه الجمعية على الاجتماع، وهي منبعثة مما حصل عندها من الحسيات^(١) الوطنية والإصلاحات التي ظهرت، ويشترك في فوائدها كل وطني وساكن هذه البلاد، فقبل كل شيء أقول لكم: إن كل هذه النتائج لا تقدر أن نعتبرها وننسبها إلا للخديوى الأعظم لأنه هو الروح للجسم والجسم بلا روح لا حركة ولا تأثير له، نعم إن كلامنا على حسب وظيفته وقوته يفخر بأنه أدى ما وجب عليه من الخدم، حتى باجتماعنا واتحادنا في النية والعمل وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وإنى وإن كنت متشكراً مما أبدىتموه لكنى أرى أنى لست المستحق وحدى هذا التشكر، فإن هذه النتائج أنما هى باتحاد مساعيكم وهمتكم، وإن ما بذلته من المساعى كان من الواجب علىّ وعلى كل وطني وكل ساكن هذه البلاد يجب عليه أن يثنى على ما ظهر من الخدم، ونهى أنفسنا على وصولنا إلى هذه الدرجة، ومع ذلك لا أقدر أن أقول: إنها هى النتيجة النهائية، بل إننا بعد في المبادئ وأمامنا عمل جسيم، أى مبادئ جسيمة يلزم بناؤها في هذه البلاد، فإذا قلت ما هى هذه المبادئ، أجبتمكم / إنها المبادئ المؤسسة على العدل التى يمكنها أن تصادم صدمات الزمان، والحوادث، ويستمر بقاؤها على مر الزمان، ومثل هذه المبادئ التى تستمر مقاومة لهذه الحوادث وتحملها، يلزم أن تكون مبنية على أساس متين، وهذه أعمال جسيمة لا ينكرها أحد إلا باتحاد القلوب، والثامها، ومحو ما يشين المروءة^(٢) من البغضاء والحسد، وفى أداء المنافع العمومية لا الأغراض والمطامع النفسانية، فإذا اتحدت قلوبنا وسلكتنا مسلماً واحداً، وهو إصلاح الحال واستقامة الأحوال، فلا بد أن نصل إلى المقصود بأن تؤسس هذه البلاد هيكل العدل والأمان والرفاهية والطمأنينة، ومع أننا فى مبادئ الأمور إلا أن آثارها سطعت فى البلاد، وهذا مما يشجعنا على

(٢) صحتها المروءة.

(١) يقصد الإحساس.

الإقدام على بناء الأساس المتين، والدليل الذى صار مشاهدًا للعيان، هذا إن كلا من المتوظفين والمأمورين كان مطمح نظره مساعدة الخديو على الاستمرار فى هذا المنهج، والوصول إلى هذه الغاية، ومع أن أعمارنا لا تساعدنا على أن نكون المؤسسين / النهايين لهذا القصد إلا أننا وضعنا [١٤٤] هذا الأساس ويجب على خلفائنا التوصل إلى المقصود النهائى، ثم قال تعيش مصر فى ظل الخديو المعظم إن شاء الله.

وفى يوم الخميس الحادى عشر منه، وصل الخديو إلى مصر المحروسة حيث كانت الساعة أربعة ونصفاً^(١) نهاراً، فأطلقت المدافع من قلعة الجبل واستقبله على محطة السكة الحديد النظارة، وأموررو الحكومة، ووجهاء المدينة، فركب عربته وعلى يساره الرئيس وسار إلى مقره بالإسماعيلية وفى بعد ظهر اليوم كانت التشريفية بسراى عابدين، وأطلقت المدافع ثانياً.

وفى الثامن والعشرين منه، بعث مدير البحيرة خبيراً بأن قد انقطع أحد جسور المديرية فى الساعة السابعة من نهار هذا اليوم، فطفت المياه على بعض أراضى تلك الناحية وأغرقت منها نحو الأربعمائة^(٢) فدان فبودر باتخاذ الطرق المانعة، فتيسر منعها، ولم يتجاوز الضرر عن الأربعمائة فدان.

وفى الثالث من ذى القعدة صدر من ناظر ديوان الخارجية أمراً بتعطيل الجريدة الإفرنسية / المسماة مساجيريه جبسيان، خمسة عشر يوماً لتشرها [١٤٥] أخباراً موجبة للخوف والاضطراب، وذلك فإنها ذكرت فى عدد من أعدادها ما يأخذ منه^(٣) أن رؤف باشا حكمدار السودان، تعدى حدود الأراضى المصرية وتوغل فى أراضى الحبشة، فوقع فى قبضة عساكرها، ولم ينج إلا بعد أن أرسل إليه حاكم زيلع المدد، وأنه بعد تجاته طلب من مصر

(٣) صحتها ما يؤخذ منها.

(١) صحتها الرابعة والنصف.

(٢) صحتها أربعمائة.

المحروسة جندياً لحفظ الحدود، فقالت^(١) ناظر ديوان الخارجية: إن مثل هذه الأراذيف^(٢) تخدش الأذهان، ولا سيما في هذا الوقت، الساعية فيه الحكومة المصرية في حل المسائل، ورفع الخطوب بالطرق السلمية، فضلاً عما يترتب عليه من حدوث التنافر والوحشة، بين الحكومة المصرية ونجاشى الحبشة، قال: وفوق ذلك فإنه لا يتصور أن المدد يرسل من زيلع إلى الحبشة حالة كون زيلع كما لا يخفى على سواحل السومال، وحكمदार السودان هو في الخروطوم فلذا نأمر بتعطيل جريدة المساجيرية جبسيان / خمسة عشر يوماً [١٤٦] كاملة: وبناء على هذا الأمر أرسل محافظ مدينة الإسكندرية إلى صاحب الجريدة المذكورة صورة الأمر فلم يسعه إلا الإذعان والرضوخ.

وفيه أيضاً حكم على السيد حسن موسى العقاد بالأشغال الشاقة في ليمان الإسكندرية مدة خمسة^(٣) سنين لطعنه في أعمال الحكومة، وتداخله في مواضع سياسية ذات أهمية كبرى بل داعية إلى شق عصا الطاعة وسريان الفساد.

ولما كان لهذا الرجل اليد الطولى في معظم الحوادث والخطوب، التي وقعت في داخلية البلاد، قد أضربنا الآن صفحاً عن ذكر ترجمته ودواعى سجنه، ثم تبعيده عن الديار المصرية، وسنذكر ذلك بالتفصيل عند ذكر حوادث وقته كى لا تفوت الفائدة.

وفي الحادى والعشرين منه، كان بسرأى عابدين تشريفة لتسليمه النيشان الذى أهده ملك إيطاليا إلى الأمير عباس بك ولى عهد الخديوية، وهو النيشان المعروف: بفران كوردون: وذلك / أنه في هذا اليوم قبل الظهر بساعتين، اجتمع الرئيس مصطفى رياض باشا، وسائر النظائر، [١٤٧]

(١) .صحتها خمس.

(٢) .صحتها: فقال.

(٣) .بمعنى الأراجيف.

وبعض مأمورى الحكومة، ورجالها واصطف فى رحبة عابدين فرقتان من الجند ثم توجه ذو الفقار باشا التشريفاق الأول على عربة يستدعى قنصل جنرال دولة إيطاليا للإقبال بالنشان المشار إليه، فركب مع التشريفاق المومى إليه، وسارت أمامهم فرقة من الجند المحافظين إلى أن وصلوا إلى السراى، فتقابل القنصل مع الخديو، وقدم إليه تحريرات من الملك مفادها، إهداء النشان إلى ولى العهد الأمير عباس بك، ثم شافه الخديو بما معناه، مـرلاى: إن هذا من أقوى الأدلة على حسن طوية الملك، وشدة ميله ومحبه العلية بذات الخديو، ورغبته فى تأكيد ارتباط الوداد بين دولة إيطاليا ومصر، وإنى للمأمور برفع هذه المقالة من طرق سيدى الملك لسدتكم، وإنى أفتخر بتقديم هذا النيشان بيدي لسعادة الأمير الواقف الآن على يمين عظمتكم، فقال الخديو: إنى لفى تشكر ما عليه من مزيد، كما أن أقصى آمالى، هى توطيد أسباب / المحبة والميل بينى وبين عظمة الملك، وفى أثناء [١٤٨] حديثه أطلقت المدافع من قلعة الجبل فخرج القنصل، وتناول القهوة وانصرف، ثم تقدم الرئيس مصطفى رياض باشا وهنأ الخديو، ثم الأمير عباس بك، وتبعه فى ذلك سائر النظار ورجال الديوان الخاص، وبعض مأمورى الدواوين الملكية، وفى عصر ذلك اليوم ركب الأمير عباس فى أبهة وزينة عظيمتين، وزار القنصل فى مقره.

قلت وقد أهدى أيضاً ملك إيطاليا إلى كل من الرئيس مصطفى رياض باشا، والفريق مصطفى فهمى باشا ناظر ديوان الأمور الخارجية، نيشانا من رتبة الغران كوردون الإيطاليانى، فوفد عليها رجال الحكومة يهنئونهما، وتوالت عليها جمل التهاني والقصائد ركاما.

وفيه أيضاً وردت الأخبار إلى الخديو من دار السلطنة، بأن حسام الدولة عم شاه العجم، قام بباخرة خصوصية من الآستانة قاصداً الأقطار

الحجازية، عن طريق ترعة السويس، فبعث الخديو خيرى باشا مهر داره ويوسف شهدي باشا، أحد ياورانه، وبعض معاوني التشريقات إلى مدينة بورسعيد، حيث ينتظرون ذلك الأمير، فعند وصوله / أجريت له مراسم [١٤٩] التعظيم وتقدم إليه مبعوثو الخديو، وبلغوه رسالة التحية فخطب المهردار بخطاب أظهر فيه أمارات المودة والميل للخديو، ثم قامت باخرته وسارت نحو البحر الأحمر.

وفي الثالث والعشرين منه، استدعى الخديو السيد عبد الباقي ابن المتوفى السيد على البكرى نقيب الأشراف، وشيخ مشايخ الطرق والساجيد لتوجيه مسند النقابة إليه بدل أبيه، فتوجه إلى سراى الإسماعيلية وقابل الخديو فألبسه التاج المودع عند هذه العائلة من عهد قديم يلبسه من يتولى هذه الوظيفة، وخلع عليه فروة سمور، قيل: فبسط الشيخ يديه وألقى مقالة هذا نصها نقلاً عن جريدة الوقائع الرسمية.

الحمد لله ولى التوفيق، الهادى إلى أقوم طريق، والصلاة والسلام على سيدنا صاحب أبى بكر الصديق، وعلى الله وأصحابه، وأتباعه، وأحبابه صلاة وسلاماً متلازمين إلى يوم الدين، أما بعد: فقد أفلح من أحى^(١) مشاعر الدين، وأرشد الناس إلى سنة سيد المرسلين، وأن الطريق لا يسلكه المريد ولا يهتدى إليه المستفيد إلا إذا هداه شيخه إليه، / ودله [١٥٠] بأنواره عليه فإذا انتقل هذا الشيخ وقضى، وولى إلى ربه. ومضى، تعين على الإمام أن يجعل له خليفة وأن يوكل أحداً بأداء الوظيفة، فله ما أحكم صنع الخديوى الأكرم، وما أجمل فعله، وما أعظم تذكره بما حل بالمنتقل، فتأسف عليه وتكرم على ولده من بعده، وأحسن إليه وأبى إلا أن يكون البيت ملحوظاً بعنایتة، داخلاً تحت رعايته وحمايته، فصدر مرسومه الشريف وتحور

(١) صحتها أحيا.

أمره المتين بما نحن في صده، وكلنا نستمدّه بمدّه فنستل^(١) الله العظيم رب العرش الكريم، أن يطول عمره وينفذ أمره، وتجعل أيامه بواسم وأعوامه مواسم وأن يحفظ أنجاله الكرام على ممر السنين والأيام بجاء النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام آمين.

ثم خرج من السراى، وركب بغلته، وسار إلى داره بالخرنفس وأمامه أرباب الأشاير، والطرق ومعهم البيارق والطبول والمزامير والكاسات وهم في ضجة زائدة، وكان حوله بعض الجند والشرطة ينعون السوقة والحراقيش ومكفوفى/ البصر من الاندفاع على الشيخ للتبرك بلامسته، [١٥١] وكانت الشوارع والطرق غاصة بهم وهم يراطون^(٢) حتى دخل داره. وفي الثالث من ذى الحجة، صدر منشور من ديوان الخديو الخاص مفاده أن رسوم تشریفات عيد الأضحى في هذا العام سيكون إجراه^(٣) بسراى عابدين في يوم السبت عاشر الحجة، وفيه أيضاً صدر حکم على محمد أفندى فنى الذى كان وقتئذ رئيس قلم الترجمة بديوان المالية، بطرده من الخدمات الميرية وسجنه في الطوبخانة سنتين كاملتين، قيل لكونه طعن في الحكومة وندد على أعمال الرئيس مصطفى رياض باشا بعاونة بعض ضباط الجند وحکم على الضباط أيضاً بالسجن والعزل من وظائفهم العسكرية.

قلت وهذه كانت باكورة انحراف ضباط الجند على الرئيس، وكرهتهم فيه، ومراقبة أعماله، وتعداد سقطاته وغلطاته في أنديتهم، ومحافلهم الليلية، ورميه باللوم والشطط والمروق عن الدين وبغض البلاد وأهلها والتزلف للإنكليز، وتوطيد أقدامهم/ في داخلية البلاد ومن ذاك الحين كثر تألبهم [١٥٢] وتجمعهم، وقد غصت محافلهم بكل ذى حاجة ومطروء، ونادى.

(١) صحتها فنسأل. (٢) يحدثون ضجيجاً. (٣) الصحيح إجراؤها.

بينهم منادى القلق الدائم، والكمد الملازم، فكان منهم أن تحالفوا وارتبطوا برباط المواثيق والعهود، وعملوا على فك الأعناق من رق العبودية، وكسر قيود المذلة، وسد أبواب السجون، وموارد العذاب التي كانوا يقولون: إن الرئيس فتحها لمن كان يتوسم في وجهه أنه منكر على أعماله إلى أن كان منهم من الأعمال ما سيأتى ذكره إن شاء الله في حوادث سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف.

وفي الرابع عشر منه، نشر الفريق مصطفى فهمى باشا ناظر الأمور الخارجية منشوراً لقناصل الدول الأجنبية، مفاده تعيين الرئيس مصطفى رياض باشا رئيس اللجنة الدولية المراد انعقادها لتنقيح قوانين المحاكم المختلطة وقد كان توقف انعقاد هاته اللجنة على حضور البارون دى رنج قنصل الفرنسي الجديد بمصر، وقد شاع يومئذ أنه سيقدم في الحادي والعشرين من ذى الحجة.

[١٥٣]

وفيه أيضاً علم من الأخبار التي أتت بها الجرائد الأجنبية إلى مصر المحروسة، أن قد اجتمع إسماعيل باشا الخديو المخلوع بجاريا لدى رجل الحرية في بلاد إيطاليا، عندما كان في مدينة ميلان من مدن إيطاليا وذلك أنه لما وصل جاريبالدى إلى نزل ميلان، طلب إسماعيل باشا الاجتماع به فأجابه إلى ذلك، فدخل عليه وحيا وسلم وتكلم بلغة الفرنسي، فقال: له جاريبالدى إننى سعيد على مشاهدتكم لسبيين الأول لكونى أميل بالمحبة إلى الأتراك، وأعتبرهم كإخوان لنا فإن جميع العالم إخوان بعضهم بعضاً على كل حال، نعم إنا وإن كنا حاربنا الترك في بعض الأزمان، ولكن ذلك ليس إلا من سوء حكومتهم، وتركهم الواجبات المفروضة عليهم، الداعية لتوطيد دعائم ملكهم، أما من جهة المسلمين فإنى أحبهم وأرغب سعادتهم ونموهم ودوام خيرهم عن إخلاص طوية.

أما السبب الثاني الذي حجب إلى هذا الاجتماع، فهو لكي أتمكن من إظهار ميلي نحوكم وحسبائي^(١) المنجذبة إليكم، وإني لتأسف على عدم معرفتي ببلاد مصر وما هي عليه الآن، ولكنني مع ذلك على علم بما شاع مما فعلتموه من خير لتلك البلاد، كما أني أعلم أن مساعيكم كانت مصروفة / لجعل بلادكم في أعلى درجات المجد والرفاهية، وقد نجحت مساعيكم نجاحًا أهنتكم عليه، أما الحوادث التي كانت سببًا في إخراجكم من بلاد مصر وإبعادكم عنها، فقد أذهلتني، ويعلم الله وأثرت في تأثيراً مؤلماً جداً ولكنني على ثقة من أنه لا بد من إنصافكم والأخذ بناصركم في عهد ليس ببعيد، ومع أنه لا يمكنني أن أمد يدي لمصافحتكم، لعلني وقرضى إلا أنه كونوا على ثقة وتحقيق أن أميالي وعواظني موجه نحوكم، ولا تبرحون أبداً من فكري: قيل فأجابه الخديو إسماعيل من معنى كلامه، وحياه وانصرف قلت، فلما شاعت هذه الأخبار بمصر المحروسة كثر لفظ الناس وتحديثهم بها، وذهبوا^(٢) رجال الخديو إسماعيل في تأويل عبارات جاريبالدى مذاهب شتى، فمن قائل: إنه سيتعاهد مع الخديو المومى إليه على إشهار الحرب ضد من كان السبب في تنزيهه من مسنده وإرجاعه إلى بلاد مصر رغم أنف كل مكابر، ومن قائل: إنه سيعمل معه على استمالة الدول إليه وإرجاعه إلى مسنده القديم نكايه في السلطان. وغير ذلك من الأقاويل التي لا يسعنا جمعها.

وفي ليلة السابع عشرة منه، ماتت الست أوقومش قادن أفندي ثانياً نساء محمد على باشا، جد العائلة المالكة، ولم تعقب نسلًا، وفي صبيحة السبت السابع عشر منه شيع جنازتها الكثير من / رجال الحكومة ومأموريها^(٣) وسائر النظار، وضباط الجند، ووجوه المدينة، وجم غفير من العلماء، وحملة الكتاب. وكان أمامها أيضًا فريق من الحرس الخديوي.

(١) مساعري. (٢) صحتها وذهب. (٣) صحتها ومأموريها.

وفرقه من الجند المحافظين، والشرطة وخلفها كثير من العربات، تحمل نساء العائلة الخديوية، ودفنت بقرافة الإمام الشافعي بجزر العائلة المالكة، قيل ولها من العمر خمسة^(١) وتسعون سنة، وصدر الأمر في ذلك اليوم لجميع العائلات التي من ذرية محمد علي وأتباعها بلبس الحداد أربعين يوماً كاملة، وعطلت بعض محال القصف واللهو كالتياترو ثلاثة أيام، وتأخر تقديم النيشان الذي أهده قيصر الروس إلى الخديو ثمانية أيام، وهو نيشان [١٥٦] النسرا الأبيض من الدرجة الأولى، وكان حضوره / على يد قنصل جنرال الروس بمصر، وتأخر أيضاً زفاف جميلة هانم أفندي ابنة الخديو إسماعيل وأخت الخديو الحالى إلى الأمير أحمد بك بن إبراهيم باشا، جد الخديو وفي العشرين منه اجتمع أعضاء لجنة تعداد الأنفس، وقرروا بأن يتم التعداد في جميع القطر المصرى في اليوم التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف، وفيه أيضاً اجتمع قنصل جنرال الفرنسي بعد عودته من بلاده بالخديو، قيل وتحادث معه في شأن لجنة المحاكم المختلطة، ثم اجتمع بالفريق مصطفى فهمى باشا ناظر الأمور الخارجية للمداولة في التنقيحات المراد إدخالها في قانون المحاكم المذكورة، وقد شاع في هذا الحين أن حكومة الفرنسيين كلفته بأن يشدد في عدم تغيير هيئة القوانين الموجودة، فكان لهذه الإشاعة أثراً مؤلماً^(٢) جداً في الحكومة، وفيها أيضاً صدر منشور من ديوان الخديو الخاص بأن رسم تبريك السنة الهجرية الجديدة، سيصير إجرائها بسرأى عابدين في يوم السبت في الساغ اثنين ونصف^(٣) صباحاً / لغاية الساعة السادسة من النهار بالكساوى المعتادة [١٥٧] وضباط الجند بكساوى اليومية والنياشين وفي الثامن والعشرين منه، قام من الإسكندرية إلى مدينة السويس على وابور الصباح الشريف عبدالله

(١) صحتها خمس. (٢) صحتها أثر مؤلم. (٣) صحتها الثانية والنصف.

وإخوته حيث حضروا من دار السلطنة قاصدين الأقطار الحجازية، وقد كان الخديو أرسل يعلمهم بأن باخرة القصير أعدت للتوجه بهم، ووقف يومئذ لانتظارهم بالمحطة بجند الشرطة، وودعهم جم غفير من أعيان مدينة الإسكندرية، ومحافظ المدينة ووكيل ديوان البحرية، وتوجه معهم إلى السويس محمد صدقي بك ياور الخديو ومبعوثه، وفي اليوم الثاني من وصولهم إلى مدينة السويس توجهوا إلى الأقطار الحجازية، وكان الشريف المومي إليه حضر من الإسكندرية إلى مصر المحروسة، واجتمع بالخديو ثم عاد إلى الإسكندرية بصحبة طلعت باشا كاتب الديوان الخاص، ومنها توجه إلى الأقطار الحجازية كما تقدم.

وفيه أيضا لما صادقت الدول الأجنبية على تشكيل اللجنة الدولية المكلفة بالنظر في تحرير قوانين / المحاكم المختلطة، رأت الحكومة أن تسرع في تنظيم [١٥٨] اللوائح وإعدادها، حتى إذا ما انعقدت اللجنة العمومية كان كل شيء حاضراً في وقته، فعينت في هذا اليوم لجاناً عديدة لإعداد ما يلزم وسمتها باللجان الثانوية، وشكلت أولاً لجنة للنظر في القانون المدني يرأسها المسيو أرا، وأعضاؤها بوريلي بك محامى ديوان المالية وقدرى بك أحد أعضاء محكمة الاستئناف المختلطة، والمسيو فاشر، وثانياً لجنة للنظر في القانون التجارى يرأسها عبد السميع أفندى، وأعضاؤها كحيل بك، والمسيو فاشر، وثالثاً لجنة للنظر في قانون الدخول في الدعاوى المدنية والتجارية يرأسها المسيو إر أو أعضاؤها بوريلي بك، وبطرس باشا غالى، والمسيو فاشر، ورابعاً لجنة للنظر في القانون الجنائى، وفي بداية التحقيق يرأسها المسيو فاشر، وأعضاؤها بطروس باشا غالى وكحيل بك ومستشارها إبراهيم باشا خليل، ومحمود بك حمدى فأعدت هاته اللجان لوائحها التى ستنظر فيها اللجنة الدولية الأساسية المؤلفة من قناصل جنرالية الدول كما مر بيان ذلك في محله.